M O H A M M A D S A N A J L E H

دراسات أدبية

محمّد سناجلة

صفحة كتب
facebook.com/the.boooks

رواية الواقعيّة الرقميّة

صفحة كتب
الرجاء شراء الكتاب من المكتبات
دعما للكاتب ولكي لا تضيع مجهوداته سدى!
مع تحيات فريق صفحة كتب
www.facebook.com/the.Boooks

مقدمة

بقلم احمد فضل شبلول

رواية الواقعية الرقمية:

محمد سناجلة وميلاد أدب عربي جديد

قرأتُ كتاب رواية الواقعية الرقمية أو الرواية في العصر الرقمي للأديب الطليعي المتميز محمد سناجلة، من خلال شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ موقع ميدل إيست أونلاين دوت كوم (www.middle-east-online.com) ـ وأُعجبتُ به وبأفكاره الجديدة المطروحة بداخله، وبموضوعاته غير التقليدية التي تبشِّرُ بميلاد أدب عربي جديد من خلال التقنيات الرقمية الجديدة التي لم تعد حلما، لأنها موجودة الآن بين أيدينا، ولكن يعوزها أفكار جديدة، بل ذهنية غير تقليدية، تؤمن بمسيرة التقدم العلمي وإخضاعه للرؤية الأدبية، خاصة

بعد أن أصبح جناح الخيال كأنه الواقع، وأصبحت أرض الواقع متلبسةً بالخيال.

وتمنيتُ أن يُطبع هذا الكتاب في طبعة ورقية (تقليدية) فالكتاب الورقي لا يزال هو المسيطر على الساحة الثقافية العربية، بل العالمية، حتى الآن، وإن كنت أتوقع تراجعه في السنوات العشرين القادمة، خاصة مع ازدياد امتلاك أجهزة الكمبيوتر، وازدياد شعبية الشبكة الدولية، وانخفاض تكاليفها، بعد الاستغناء عن جهاز الفاكس مودم، وإحلال التيار الكهربائي محل كابل الهاتف.

والأمر يتطلب من أدبائنا وكتَّابنا ونقَّادنا ـ كما قلتُ من قبل في كتابي أدباء الإنترنت •• أدباء المستقبل الصادر عام 1996، وفي كتابي الجديد ـ قيد النشر ـ ثورة النشر الإلكتروني ـ مواجهة الواقع الرقمي بشجاعة، والتحليق بخيالهم من خلال جناحي الأدب والعلم، أو أن يزوِّجوا الأدب للعلم من خلال ثورته الرقمية، ليحققوا إنجازات جديدة، ومبهرة، ولن يتأتَّى هذا إلا عن طريق الأفكار الطليعية التي يتبنَّاها أو

يقدمها شبابنا من الأدباء المثقفين ثقافة إلكترونية أو رقمية واعية، من أمثال محمد سناجلة.

فمن يقرأ روايته ظلال الواحد يكتشف بسهولة أنَّه أوَّل أديب عربي ـ وربما في العالم أيضا ـ استطاع أن يجنِّد تقنيات شبكة الإنترنت، ويخضعها لأفكاره الروائية، وكان مثل هذا الأمر يعد حلما من أحلام الروائيين أو الأدباء الذين بدأوا منذ سنوات يتعاملون مع الشبكة، وينشرون إنتاجهم الأدبي)الخطي) نشرًا إلكترونيا، ولكنه أقرب إلى النشر الورقي، من حيث عدم الاستفادة من تقنيات الشبكة وبنيتها، في إنتاج أدب عربي جديد، يستفيد من ثورة الوسائط المتعددة، ومن تقنيات النص المرجعي الفائق هيبر تكست Hyper Text.

لذا يأتي هذا الكتاب الجديد ـ كل الجدة ـ في موضوعه، وفي طرحه، وفي أفكاره، ليضع لبنة جديدة في صرح الثقافة العربية بعامة، وفي صرح الأدب العربي بخاصة.

تهنئتي أسوقها من خلال شاشة إحساساتي، ونوافذ فرحتي وإعجابي، على جناح من السيليكون والفرحة، بصدور هذا الكتاب الجديد لمحمد

سناجلة، وأتوقع أن يثير حوارا خلاقا، نحن جديرون به في الوسط الثقافي والأدبي العربي.

مقدمة الكاتب

بعد نشر روايتي الثانية ظلال الواحد في نسختها الرقمية على شبكة الإنترنت فوجئت بأن العديد أو الغالبية العظمى من المثقفين في وسطنا الأدبي لم يقرأ الرواية، واتضح لي أنّ هناك العديد منهم لا يعرف حتى التّعامل مع جهاز الحاسوب، بينما قال البعض الآخر إنهم غير معتادين على القراءة عبر الإنترنت، وهو الشيء الذي دفعني إلى إعادة نشر الرّواية في كتابٍ ورقيّ مطبوع كما هي العادة، وقد كان هذا خياراً صعباً ذلك أنّ الرواية مكتوبة باستخدام التقنيات الرقمية وبالـذات تقنية الـ links المستخدمة في بناء صفحات ومواقع الإنترنت، كما أنني كنت قد بدأت باستخدام لغة جديدة في الكتابة تحتوي إضافة للكلمات على المؤثرات السمع بصرية، وفـن الـمحاكاة وغيرها من التقنيات الرقمية المستخدمة.

وقد استطعت بعد كثير من الجهد، نشر الرواية ضمن كتاب مطبوع، ولم أكن لأفعل ذلك إلاّ وأنا واثق تماماً من أنّ الرّواية في شكلها الورقي قادرة على الوصول إلى المتلقي، وقد كان وبالذات لدى الجيل الجديد من

القراء الذين لم يواجهوا أية مشاكل في قراءة ظلال الواحد سواء كان بشكلها الرقمي أو الورقي.

لكن المفاجأة كانت في ردود الفعل الرافضة للتجربة، فقد تم شن الهجوم إثر الهجوم على ظلال الواحد باعتبارها عملاً صعباً ومرهقاً وغير مفهوم، وأراح البعض الآخر رؤوسهم باعتبارها عملاً لا يمكن قراءته، كما شنّ نقّاد آخرون الهجوم على الرّواية لاعتمادها على النظريات العلمية، بل وبلغ الأمر بأحد (النقّاد) أنْ ادّعى أنّ الرّواية والعلم لا يمكن أنْ يلتقيا وبذا فقد أخرج ظلال الواحد من كينونتها باعتبارها عملا روائياً.

وفي الحقيقة فإنّ هذا الهجوم لم يكن مفاجئاً تماماً لي، فقد كنت أعرف مسبقا أنني سأواجه بسوء الفهم والرفض، ذلك لأنّ العقلية العربية مترسخة بها العادة على النّسج على مثال سابق، وبالتالي فهي ترفض الجديد والمحدث باعتباره عملا من الرجس الذي تنبغي محاربته، لكن درجة وحدّة هذا الهجوم هي التي فاجأتني.

أعرف أنني قد جئت ببدعة جديدة لم تكن من قبل، لكن وكما اتّضح لي فإنّ كل بدعة مرفوضة حتى تترسخ وتثبت أقدامها على الأرض فيتبعها حتى أشد معارضيها، هذه سنة الحياة منذ بدء البدء، ولنا في أبي تمام وابن

عربي وأدونيس، وقبلهم المعلم الأكبر مثل وقدوة • وكل بدعة بحاجة إلى من يدافع عنها وقبل كل شيء أنْ يعطيها اسماً تعرف به وقد أطلقت على هذه البدعة اسم رواية الواقعية الرقمية وهذا الكتاب هو للتّعريف بهذه الرّواية•

الفصل الأول

العصر الرقمي والرواية

-فلسفة الخيال/ الخيال المعرفي والخيال السلفي

-رواية الواقعية الرقمية

-فرضية الرواية الرقمية

العصر الرقمي والرواية

إنّ لحظات التّحوّل في التاريخ البشريّ هي لحظات ارتباك وحيرة للغالبيّة الكبرى من البشر، وهي لحظات ارتباك لأنها لحظات تفصل بين زمنين وطريقتين مختلفتين للحياة، وهي لحظات قد تبدو مشوّهة أيضاً، وذلك لما يعتريها من غموض وحيرة وضبابيّة في الرؤية، إنها تشبه تماما تلك الحالة التي يتحوّل فيها الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والرجولة حيث يغدو الإنسان لا هو بالطفل ولا هو بالرجل وإنما هو بين بين، بحيث تولد حيرة للآخر في كيفية التعامل معه، ولهذا فقد سميت هذه الفترة من عمر الإنسان بالمراهقة، وهي كلمة تحمل في ثناياها الكثير، ومع ذلك فإنّ هذه اللحظات هي لحظات قصيرة ينتقل بعدها الإنسان إلى مرحلة الشباب والنضج.

ونحن نعيش الآن في زمن مشابه ولحظات مشابهة، ذلك أننا بدأنا وفي مدى زمني أقصر من المتوقع ندخل بقوّة للعيش في زمن آخر وفي عصر آخر ... إنّه العصر الرقمي بكل ما تحمله الكلمة من معنى ما زال غير واضح للكثيرين، فهناك الآن بيوت تتحدث للحاسبات ومجلات

تتحدث للتليفونات اللاسلكية وسيارات تتحدث للإنترنت، وأصبحت المعلومة في متناول الجميع بعد أنْ كانت حكراً على بعض البشر، وغدا الكمبيوتر جزءاً أساسياً من متطلبات الحياة التي لا غنى عنها، وبدأنا نشهد تحولاً في وسائل التعليم وموضوعاته، وبدخول الإنترنت والهاتف المحمول التغت المسافة أو كادت أنْ تلتغي، وتقارب الزمن حتى كاد أنْ يصبح واحداً، فلا زمان ولا مكان قادر أنْ يفصل الإنسان عن أخيه الإنسان، حتى أمسى العالم كله ليس قرية صغيرة كما كان شائعاً في العصر التكنولوجي، بل أصغر من حجرة صغيرة في بيت، أصبح العالم شاشة•••مجرد شاشة زرقاء•

وغدا التّحدّث أو رؤية شخص آخر مهما كان مكانه في المعمورة لا يأخذ سوى بضع ثوان أو أقل، وبدخول تكنولوجيا الواقع الافتراضي أصبح الخيال واقعاً والمستحيل إمكانية، فكثيراً ما كان يهرب الإنسان من الواقع بمشكلاته المختلفة إلى دنيا التخيّل والافتراضات التي لا تحدها مشاكل أو قيود فيحقق في الخيال ما يعجز عن تحقيقه في الواقع ولذلك فهو يحلم دائما بأن تذوب الفوارق بين الحقيقة والخيال ليستمتع بكل شيء، ومن جانبها التقطت تكنولوجيا المعلومات هذا الحلم وحاولت تحقيقه لتتيح مستوى جديد من الحياة لم يكن ممكناً في السابق إلاّ في الأحلام•

وبالطبع فإنّ تكنولوجيا المعلومات ليست قادرة على تحويل كل التخيلات إلى حقيقة لكن يمكن القول إنها استطاعت حتى الآن وضع آليات قادرة على ذلك وأن تذيب بعض الفوارق بين الواقع والافتراض تحت ظروف معينة وتنشئ منهما مزيجاً جديداً أطلق عليه اسم الحقيقة التخيلية أو الواقع الافتراضي وهو نوع من الوقائع أو الحقائق التي يجري صنعها وتكوينها عبر برامج وحاسبات متخصصة في ذلك لتظهر وتتجسد بالشكل الذي تجري به على أرض الواقع فعلاً، وقد تطور مفهوم الواقع الافتراضي ليصبح اتجاهاً أو فلسفة رحبة لا تقتصر فقط على برامج الصور ثلاثية الأبعاد ولكن تشمل أيضا تكوين الخدمات والكيانات والمنتجات الافتراضية في كل مجال من مجالات الحياة، ومن المتوقع مستقبلاً أنْ تذوب الفواصل بين الواقع والافتراض بشكل شبه تام، بل إننا بدأنا في رؤية هذه الفواصل تتلاشى منذ الآن.

ففي مجال التعليم مثلاً بدأت تظهر المدارس التخيلية التي ليس لها وجود مادي على أرض الواقع ولكنها موجودة فقط في ذاكرة الحاسبات العملاقة ومواقع شبكة الإنترنت ونظم معلومات التعليم المختلفة، بل إنّ المدرسة الحقيقية العادية أصبح لها وجه افتراضي إلى جانب وجهها الواقعي، فهناك الآن أعداد كبيرة من المدارس والجامعات التي أنشأت لنفسها مواقع على الإنترنت تقدم خدمات تعليميّة دخلت في صميم

المنهج الدراسي، وأصبحت من الأجزاء الأساسية المكونة له، فهناك دروس تبث عبر الشبكة وهناك مدرسون افتراضيون يمكن التوجه لهم بالأسئلة والدخول معهم في حوارات تفاعلية كاملة والأمر لم يتوقف على المدارس فقط بل وصل إلى الجامعات وخرج إلى دول العالم المختلفة، بحيث أصبحنا نرى الآن خريجين يحملون الشهادات الجامعية من جامعات موجودة في الخيال فقط.

أمّا في مجال التجارة فظهر مفهوم التجارة الإلكترونية حيث أصبح بإمكان الناس أنْ يشتروا أي شيء يريدونه من أي مكان في العالم وفي أي وقت يشاءون عن طريق الإنترنت من دون مغادرة أماكن جلوسهم خلف الشاشة الزرقاء، وأصبح إنشاء الشركات وممارسة الأعمال لا يحتاج لأكثر من جهاز حاسوب واتصال بشبكة الإنترنت وعقلية متفتحة لتدخل بقوة إلى عالم تحقيق الأحلام.

وليس هذين سوى مثلين فقط مما يهجس بهما العصر الرقمي بما يحمله من إمكانيات لا تعد ولا تحصى.

لقد تغيّر شكل الحياة تبعا لذلك، وتغيّر الناس، وتغيّرت المفاهيم والقيم أو هي في طريقها للتغيّر السريع .. لقد ظهر إلى الوجود مفهوم الحياة الرقمية والمجتمع الرقمي والواقع التّخيلي و... الإنسان الافتراضي...

إن السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا عن الفنّ ••• الأدب••• الرواية تحديداً ؟؟؟

هل تستطيع الرّواية بشكلها الحالي أنْ تستوعب الثورة الرقمية المتسارعة في العالم، أم أنها يجب أنْ تتخلى عن مكانتها لصالح أشكال تعبيرية وإبداعية أخرى أكثر قدرة وجاذبية كالسينما أو البرمجة مثلاً؟؟؟؟

وهذا السؤال يقود إلى سؤال آخر: هل الروائي بشكله وأدواته الحالية قادر على المضي في مغامرة الرّواية في ظل العصر الرقمي الآخذ بالتشكل؟؟؟

والسؤال السابق بشكل أكثر وقاحة: هل الروائي بأدواته الحالية المستهلكة قادر على أنْ يبقى روائياً؟؟

وفي الحقيقة فإنّ محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة ستقود إلى دوامة محمومة أخرى من الأسئلة من مثل:ما موضوع الرواية القادمة؟؟ ما لغتها، بل ما هي اللغة أصلاً؟؟ وهل الكتاب – بشكله الورقي المعهود– قادر على استيعاب الرواية القادمة؟؟؟ أم أننا بحاجة إلى لغة أخرى وكتاب آخر؟؟؟؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة التي يلد بعضها بعضاً في سلسلة ملعونة وموتورة يجب أنْ يقودنا إلى التوقف والعودة إلى التاريخ ••• تاريخ الرواية•

ولكن قبل العودة إلى التاريخ دعونا نستمع إلى آينشتاين وهو يهمس إنّ المعرفة محدودة ولكنّ الخيال غير محدود ثم ننطلق من هذه الهمسة الصغيرة في محاولة الإجابة عن حقل الألغام السابق•

حين أطلق سرفانتس العنان لخياله ليحلم بعالم آخر غير عالمه الواقعي الذي لم يكن قادراً على تقبّله والتعايش معه، كتب الدون كيشوت، كان الدون كيشوت استجابة عملية لخيال غير عملي، ذلك لأنّ سرفانتس كان مسكوناً بالماضي وبالقيم الأخلاقية التي سادت في زمن لم يعد قائماً، زمن الفرسان والنبلاء والفضيلة حيث تسود قيم الخير والحق والجمال، وحيث إن العالم الذي كان يعيش فيه سرفانتس كان عالماً من فوضى فقد كانت الإمبراطورية الإسبانية في قمة تحللها وانهيارها، فكان لا بد له من العودة إلى الماضي فعاد•

من هذه النقطة انطلقت الرواية الحديثة بمعناها الواسع•

لكن السرد لم يبدأ بالرّواية، فقبل سرفانتس والدون كيشوت كانت ليالي ألف ليلة وليلة، التي تعتبر بحق تأسيساً عملياً للرواية•

كانت ليالي شهرزاد نوعاً آخر من الاستجابة العملية لخيال غير عملي هرباً من واقع مرعب، واقع مليء بالظلم وانهيار القيم.

إذاً فقد جاءت الرّواية وليدة للخيال البشري الجامح الذي حاول أنْ ينشئ عالماً آخر موازياً لعالم واقعي مرفوض أصلاً، وهذا يعني أنّ الرواية ولدت نتيجة لحافز فاعل ورد فعل فاعل موازٍ له في القوة ومعاكس له في الاتجاه حسب القانون الثالث من قوانيـن نيوتن.

لكنّ خيال سرفانتس وكتاب ألف ليلة وليلة، ومن بعدهم المحدثون أمثال وليم فوكنر كان خيالاً سلفياً – ولهذا كان غير عملي– إذا صحّ التعبير، فسرفانتس لم يتخيل المستقبل بل الماضي وكذلك فعل فوكنر وكاتب ألف ليلة وليلة ومن جاء بعدهم من الروائيين.

حنّ سرفانتس لماضٍ عريق كانت تسود فيه قيم معينة فاخترع الدون كيشوت وحنّ فوكنر لماضي الجنوب الأمريكي قبل أنْ يدنسه الشمال المنتصر فاخترع مقاطعة يوكنا باتوفا التي تدور في أرجائها أحداث كل رواياته.

أمّا كاتب ألف ليلة وليلة فقد حنّ لماضٍ أشدّ إيغالاً وعمقاً في التاريخ، ماضي التكون الحلمي الأول للإنسان، حيث كانت الأساطير هي المهيمنة على الفعل البشري، وفي الحقيقة فإن عمل الخيال البشري بهذه

facebook.com/the.Boooks

الطريقة الارتدادية إنما يدل في أحد أوجهه على الطفولة الحلمية المرعبة التي عاشتها البشرية في عصورها الأولى قبل أنْ يتشكل الوعي.

هذه الطفولة التي تخزنت في اللاوعي الجمعي للبشرية، وارتدت فيما بعد -بعد مرحلة تشكّل الوعي- إلى عنف دموي لا يرحم لون الكرة الأرضية بالأحمر القاني . فقد عاش الإنسان في أول تواجده على هذه الأرض ضمن بيئة قاسية، مليئة بالظواهر الطبيعية المعادية والوحوش الكاسرة التي كانت تنقضّ عليه بلا هوادة أو شفقة . ومراجعة بسيطة لمجمل الأساطير البشرية ستدلنا بشكل مؤكد على هذه البيئة المرعبة، ولنأخذ أسطورة التنين الذي ينفث النار، أو أسطورة الأفعى لوتيان ذات الرؤوس السبعة على سبيل المثال، حيث تدلنا هذه الأساطير على أنّ بدء تواجد الإنسان على هذه الأرض يمتد إلى عصر الديناصورات، فالتنين ليس أكثر من طائر ضخم ومفترس، وكذلك الأفعى ذات الرؤوس السبعة، ولابدّ أنّ الإنسان في المرحلة الحلمية الطفولية قد واجه عالماً في غاية الرعب والشراسة.

عالم قاس تخزن في لا وعيه الجمعي، ثم ظهر بعد تشكّل هذا الوعي على شكل عنف مدمّر، سواء كان ضدّ أخيه الإنسان، أو ضدّ الحيوان، أو ضدّ البيئة المحيطة بشكل عام.

فالإنسان هو أكثر الكائنات عنفاً ودموية، وهذا شيء مبرر، فمن المعروف في علم النفس أنّ الطفل الذي يعيش طفولة قاسية وعنيفة يكون ميالاً للعنف حين يكبر وينضج، من هنا لم يكن غريباً أبداً أنْ يلون الإنسان الوجود بلون الدم، ولم يكن غريباً أيضاً أنْ يرتد مبدعوه وروائيوه الأوائل في خيالهم إلى تلك الطفولة المرعبة في محاولة منهم لفهمها واستيعابها•

فلسفة الخيال \ الخيال السلفي والخيال المعرفي

لدينا ثلاثة نماذج استخدمت الخيال لتجاوز المعرفة، لكنّ هذا الخيال لدى ثلاثتها لم يكن خيالاً خلاّقاً مغامراً في المجهول، بل كان خيالاً خلاّقاً مغامراً في المعلوم، أو فيما ترسب منه داخل الوعي الجمعي البشري للماضي السحيق والقريب.

لقد كتب هؤلاء وأبدعوا وهم أسرى للماضي.

من هنا يمكن لنا أنْ نقول إنّ الرواية قد بدأت بداية عرجاء ذلك لأنّ خيالها كان خيالاً سلفياً ارتدادياً.

وفي الواقع فإنّ مجمل سير الرّواية بعد ذلك قد بقي ضمن هذا السياق إلاّ إذا استبعدنا روايات الخيال العلمي لجول فرن ومن جاء بعده من كتاب هذه الرواية – علينا أنْ نتذكر أنّ العديد من النقّاد الغربيين لا يعتبرون جول فرن روائياً – ونعود إلى آينشاين الذي قال: إنّ المعرفة محدودة والخيال غير محدود ونتيجة لهذا الإيمان لديه ولأبحاثه العلمية المتعددة ولدت النظرية النسبية، وكانت النتيجة انعطافة حاسمة في التاريخ

الإنساني على المستويين النظريّ والتطبيقيّ العملي، فلأول مرة في تاريخ البشرية أصبح اللعب بالزمن ممكناً وواقعياً.

كان الخيال يسبق المعرفة، لكنّ اينشتاين ومن خلال استخدامه للمعرفة أعطى الإمكانية الحقيقية كي تسبق المعرفة الخيال، فهو حين أمسك بالزمن كسر أسطورة الخيال، وهدم من حيث لا يدري نظرية سبق الخيال على المعرفة، وكان هذا إيذاناً ببدء عصر جديد للبشرية.

وفي الحقيقة فإنه لم يمض كثير وقت حتى جاء من مضى إلى أبعد بكثير مما جاء به آينشتاين، جاء الذي لم يقنن الزمن وحسب كما فعل آينشتاين بل من اخترع زمناً جديداً ومختلفاً عن الزمن السائد وكان هذا هو رائد ثورة المعلوماتية ونخاعها الشوكي بلا منازع بل جيتس.

فإذا كان آينشتاين قد حدّد الزمن ودلّ ولو نظرياً على إمكانية اللعب به، فإن بل جيتس وعلماء ثورة المعلوماتية الآخرين قد ذهبوا بالشوط إلى مداه الأقصى.

لقد أوجدت ثورة المعلومات التي كان بل جيتس رائدها زمناً جديداً ومختلفاً وموازياً للزمن المعلوم وتم إعطاء هذا الزمن اسم الزمن السوبراني .وفي هذا الزمن تلتغي المسافة، فإذا كانت السرعة تساوي حاصل قسمة المسافة على الزمن كما في قانون نيوتن الثاني، فقد أصبحت

facebook.com/the.Boooks

السرعة عند رموز هذه الثورة تساوي الزمن فقط، حيث إنّ المسافة أصبحت نهاية تقترب من الصفر فإذا ما التغت المسافة فإن هذا يعني بدوره إلغاء الجغرافيا • لقد ألغت الثورة المعلوماتية الجغرافيا = المكان = المسافة• هذا واحد•

أما الثاني فإنّ إلغاء الجغرافيا يعني بالضرورة انتفاء الواقع، لأن الواقع أحداث تحدث ضمن الجغرافيا، وحيث إنّ لا جغرافيا فلا واقع•

أمّا الثالث فإنّ الزمن الآخر يعني بالضرورة وجود واقع آخر ذي أحداث تحدث في جغرافيا أخرى ولقد أعطت الثّورة هذا الواقع الآخر اسم الواقع الافتراضي Virtual reality كما أسلفنا وفي هذا الواقع هناك أحداث تحدث وجغرافيا وزمان، لكن هل هذا سيعيدنا إلى الخيال الذي تحدث عنه آينشتاين؟؟ الإجابة نعم ولا•

فما يحدث هو خيال بالتأكيد، ولكنه خيال واقعي، مادي ملموس ومحسوس - خيال معرفي- فأنا حين أجلس ست أو سبع ساعات متصفحاً شبكة الإنترنت مثلاً، فإنني أعيش في عالم آخر وواقع آخر، متخيل من جهة، ولكنه حقيقي ومحسوس من جهةٍ أخرى • و لأنّ الخيال الذي تحدث عنه آينشتاين هو خيال لا محدود يسبق المعرفة، بينما الخيال

الذي أوجدته الثورة هو خيال معرفي لا محدود وواقعي تماماً • لأول مرة في التاريخ البشري تسبق المعرفة الخيال•

***

حين جاء ابن عربي قبل حوالي الألف عام تحدث عن الظاهر والباطن، وعن الحقيقة وعين الحقيقة، فالحقيقة هي الظاهر وبالتعبير الرقمي هي أل Actual reality ، وعين الحقيقة هي الباطن أو أل Virtual reality، وكما أوجد بل جيتس وزعماء الثورة الآخرين عالماً آخر غير العالم الموجود فعل ابن عربي•

لقد ناقش ابن عربي الخيال فليس إلاّ الخيال والخيال لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت

ويعطي ابن عربي للخيال اسم البرزخ فإذا قلت وما عالم البرزخ قلنا عالم الخيال

والبرزخ كما هو معروف لغة هو ما يفصل بين عالمين ويصل بينهما في ذات اللحظة ولما كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول سمي برزخاً اصطلاحاً، وهو معقول في نفسه، وليس إلاّ الخيال، فإنك إذا

أدركته وكنت عاقلاً تعلم أنك أدركت شيئاً وجودياً وقع بصرك عليه، وتعلم قطعاً بدليل أنه ما ثم شيء رأساً وأصلاً، فما هو هذا الذي أثبت له شيئية وجودية ونفيتها عنه في حال إثباتك إياها؟

يقول نصر حامد أبو زيد في شرحه لمفهوم الخيـال عند ابن عربي إنّ الخيال عند ابن عربي خيالان: الخيال المتصل، والخيال المنفصل، فالخيال المتصل هو الخيال بالمعنى السيكولوجي باعتباره أداة إنسانية للإدراك والمعرفة، والخيال المنفصل هو الخيال الوجودي بجانبه الفيزيقي والميتافيزيقي

وبتعبير العصر الرقمي فإنّ الخيال المتصل هو الواقع الحقيقي والخيال المنفصل هو الواقع الافتراضي·

يلتقي بل جيتس وابن عربي في هذه النقطة ولكنهما يختلفان في أسلوب التطبيق·

يلتقيان من حيث إنّ العالم الواقعي والعالم الافتراضي يلتقيان وينفصلان في ذات اللحظة أو أنهما يلدان بعضهما البعض وبتعبير ابن عربي من الخيال المنفصل يكون الخيال المتصل

كذلك الحال مع الشخص الذي يجلس أمام الكمبيوتر لمدة خمس أو ست ساعات غارقاً في عوالم الإنترنت، فهذا الشخص موجود في العالمين في ذات اللحظة، فهو لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت

وربما كان الشخص الموجود في العالم الافتراضي أكثر حضوراً وحقيقية مـن ذات الشخص الموجـود في العالم الواقعي فـ المتصل يذهب بذهاب المتخيل، والمنفصل حضرة ذاتية قابلة دائماً للمعاني

وهذا القابل دائماً للمعاني بحاجة إلى رواية أخرى جديدة ومختلفة لتعبر عنه وعن واقعه الجديد وهذه الرواية هي رواية الواقعية الرقمية•

رواية الواقعية الرقمية

إن الكتابة مغامرة كما هي الحياة، والروائي مغامر تماماً كما هو الإنسان، وكما يختلف البشر تختلف الكتابة، فالإنسان القانع الراضي بما ترميه إليه الحياة من فتات موائد الآخرين لن يكون مبدعاً ولا خلاّقاً، ذلك لأنّ الإبداع دخول في المجهول، في اللاواضح، واللامحدود، واللاثابت، ومن يحاول أنْ يبدع بأساليب وطرق سلكها الآخرون قبله ليس مبدعاً وإنما مقلداً.

إنّ الطرق القديمة قد عافتها الأقدام، والرواية بحاجة إلى طرق أخرى لم تسلكها قدم من قبل، طريق ضبابية وغير واضحة ولا محددة، ولن تتضح إلاّ حين يجلس الرائي أمام رعبه الأزرق ليكتب ويبدع.

إنّ الكتابة رعب لأنها دخول في اللامعروف، في الطرق المجهولة الوعرة، والرّواية الموجودة بشكلها الحالي قد ملتها الكتابة وملّها القراء والقلوب

- إنّ الرواية بشكلها الحالي قد عداها الزمن، ذلك لأنّ الزمن لم يعد نفس الزمن، والجغرافيا لم تعد نفس الجغرافيا والناس لم يعودوا نفس الناس.

يقول بل جيتس عن الزّمن القادم وإنسان الزمن القادم في كتابه :

Business @ the Sped of Thought: Succeeding in the Digital Economy سوف تعيد مقاييس المعدات والبرمجيات والاتصالات هذه تشكيل مسلك الأعمال والمستهلكين، ففي خلال عقد من الزمن سيستعمل معظم الناس الحواسيب الشخصية بانتظام في العمل والبيت، وسيستخدمون البريد الإلكتروني بصورة روتينية، ويرتبطون بالإنترنت ويحملون أجهزة رقمية تحوي معلومات عنهم وعن أعمالهم، ستظهر أجهزة استهلاكية جديدة تتناول في شكل رقمي كل أنواع البيانات تقريباً: النّص والأرقام والصوت البشري والصور المتحركة ويضيف قائلاً بعد أنْ ينحت مصطلحاً جديداً تماماً هو أسلوب حياة الشبكة **Web life style**: وأسلوب عمل الشبكة **Web work style** وهما مصطلحان جديدان تماماً على أدبيات التقنية اخترعهما ليعبر بهما عن الحياة القادمة وطبيعة العلاقات المتبادلة بين ناس الزمن القادم • يقول مبشراً بالمستقبل إننا اليوم لا نتصل عادة بالمعلومات إلاّ عندما نكون على مكاتبنا موصلين إلى الإنترنت بسلك مادي، أمّا في المستقبل فستوجد أجهزة رقمية نقالة ستجعلنا على اتصال دائم مع نظم أخرى وناس آخرين، كما أنّ أجهزتنا المستخدمة يومياً مثل عدادات الماء والكهرباء والأنظمة الأمنية والسيارات ستكون موصولة لتقوم بإبلاغنا عن أدائها وحالتها • إنّ كل تطبيق من تطبيقات المعلومات الرقمية هذه

facebook.com/the.Boooks

يقترب الآن من نقطة انعطاف هائلة، والتي عندها سيصبح التغيير فيما يستعمله المستهلكون مفاجئاً وهائلاً، وهي معاً ستحول أساليب حياتنا وعالم الأعمال تحويلاً جذرياً!

ويتوسع بل جيتس في توضيح مفهوم ال Web life style ـ حين يطلق على العصر القادم كله مصطلح العصر الرقمي، منبهاً إلى أهمية الاتصالية قائلاً تأخذ الاتصالية في العصر الرقمي معنى أوسع من مجرد وضع شخصين أو أكثر على اتصال، فالإنترنت تخلق مجالاً شمولياً لتقاسم المعلومات والتعاون والعمل والتجارة.

وهو يسمى الاتصالية والقدرة على التواصل في العصر الرقمي بالنظام العصبي الرقمي (Digital nervous system) الذي يوازي الجهاز العصبي لدى الإنسان (Central nervous system) المكون أساساً من النخاع الشوكي الذي لولا وجوده لما وجد الإنسان.

ويشير بل جيتس في كتابه هذا إلى أنّ التكنولوجيات البدائية التي ابتكرها الإنسان كانت بدورها تغيّر من طرائق وأساليب عيش الناس كليةً، ويعطي مثلاً على ذلك بحلول عصر الكهرباء، فقبل أنْ تصبح البنى التحتيّة الكهربائية شائعة في المدن، لم تكن لدى الناس أدنى فكرة حول

الأجهزة الكهربائية كالهاتف والتلفزيون، وهي الأجهزة التي كتب لها أنْ تغير العالم.

ويمكن النظر إلى الإنترنت على أنها تطبيق كهربائي، فالعالم قبل الكهرباء غير العالم بعد الكهرباء، وكذلك فانّ العالم قبل الإنترنت غير العالم بعد الإنترنت.

ما الذي يعنيه هذا ؟؟

لقد نشر بل جيتس كتابه عام 0002م (أكتب هذه الكلمات في عام 2002م وقد تعدى العصر الرقمي ما توقعه بل جيتس بكثير) هذا متوجهاً إلى رجال الأعمال وقطاع المديرين التنفيذيين للشركات وربما لم يكن يعنيه أنْ تستنبط من كلماته هذه نظريات أدبية في فنّ الرّواية، ولكن ما الذي يعنيه هذا ..؟

ألا يعني أنّ العالم القديم قد انتهى، وأنّ هنالك عالماً جديداً ومختلفاً تماماً آخذاً بالتشكل.

لقد جاءت الرّواية لتعبر عن العالم سواء رفضاً أو إيجابياً ولتستشرف المستقبل، والروائي مكتشف قبل كلّ شيء لأنّ له عيناً ثالثة ليست لدى

الآخرين – الروائي المبدع لا المقلد طبعاً – وهذا الروائي معني تماماً بالزمن ••• الزمن القادم، وبالجغرافيا الأخرى ••• الجغرافيا القادمة••••

فرضية الرواية الرقمية

إنّ الرّواية أحداث تحدث في زمان ضمن مكان، أي أنّ الرّواية تساوي حاصل قسمة الزمان على المكان.

ولقد تغيّر الزمن، وتغير الزمن يعني تسارعه، وتسارعه يعني وصوله في النهاية إلى الثابت= الواحد.

يقول بل جيتس إذا كان عقد الثمانينات عن النوعية، والتسعينات عن إعادة الهندسة، فإنّ العقد الأول من الألفية الجديدة سيكون عن السرعة

فإذا كانت السرعة تساوي حاصل قسمة المسافة المقطوعة على الزمن حسب قوانين نيوتن، فإنّ هذا يعني أنّ الزمن نفسه ثابت، وأنّ المتغير هو المسافة وبما أنّ العصر الرقمي قد ألغى المسافة= المكان= الجغرافيا فهذا يعني أنّ السرعة في النهاية ستساوي الزمن، وبما أنّ الرّواية أحداث تحدث في زمان ضمن مكان فهذا يعني أنّ الرّواية تساوي السرعة.

لنضع هذا جانباً لبعض الوقت ولنعد إلى الرّواية القديمة.

يقول ميلان كونديرا إنّ الرّواية مكان يتفجر فيه الخيال كما في حلم، وأنّ بإمكان الرّواية أنْ تتحرر من حقيقة الإمكانية التي يبدو أنْ لا مفرّ منها نعم، لقد كان هذا صحيحاً في زمن سابق، وفي رواية أخرى، حين كان الخيال الذي ينتج الرّواية خيالاً لا معرفياً وسلفياً ارتدادياً، أمّا في رواية الواقعية الرقمية المبنية على الخيال المعرفي فإن الأمر يختلف بالتأكيد.

لقد كانت الرّواية القديمة تنطلق من الحلم أمّا الرّواية الجديدة فتنطلق من المعرفة • وهذه الرّواية مغامرة في الزمن الرقمي الافتراضي وفي المكان الرقمي الافتراضي، وفي الواقع الرقمي الافتراضي • ذلك لأنه ليس إلاّ الخيال الذي هو معرفة، وهذا الكون بكل ما فيه من كواكب ونجوم وأفلاك ومجرات ما هو سوى الخيال المعرفي للواحد وأحلامه وكوابيسه وحبه لأن يعرف هذا كله عنه، وبما أنه لا محدود فالخيال المعرفي لا محدود والرواية بالتالي غير محدودة.

ورياضياً: إذا كانت الرواية تساوي حاصل قسمة الزمان على المكان:

أي أنّ الرّواية ر = الزمان/ المكان

وحيث إنّ الزمن الافتراضي(ز) ثابت يساوي واحد وما تبقى ظلاله،

أي أنّ ز = 1

وبما أنّ المكان الافتراضي ك هو نهاية تقترب من الصفر• المكان (ك(

حيث ك: نهـــــــــا•

فإنّ الرّواية = ز/ ك = 1/ 0 = 0 = (ألما لا نهاية(

وهذا بالضبط ما تسعـى رواية الواقعية الرقمية للوصول إليه

إلى المستحيل اللا متناهي ••• إلى التوحد بالخيال المعرفي المطلق•

وليس هذا غروراً • يقول أدونيس إنّ جوهر القصيدة في اختلافها لا في ائتلافها ونقول نحن: إنّ الرّواية لا جوهر لها إنّ لم تكن مختلفة، مغايرة، ملعونة في غربتها وبحثها المستمر عن اللا ممكن، عن الثبات اللاممكن، ذلك لأنّ الرّواية حين تستقر على شكل معين تنتهي من كونها إبداعاً لتصبح أي شيء آخر، •• رتابة •• بلادة وموتاً•

ورواية الواقعية الرقمية هي الرّواية القادمة، ولن تتوقف الرّواية عندها، لكن ما سيميز هذه الرّواية عن غيرها هو قدرتها الدائمة على اتخاذ أشكال مختلفة باستخدام الصيغ المختلفة للتقنيات الرقميةالتي هي في تطور مستمر•

في الإرهاصات الأولى لهذه الرواية،أصدر الروائي الأمريكي ستيفن كينج روايته **Ridding The Polit** عبر شبكة الإنترنت في عام 1002

facebook.com/the.Boooks

بالتعاون مع شركة أمازون • كوم، إلاّ أنّ كينج لم يستخدم التقنيات الرقمية في بناء روايته هذه بل اكتفى فقط بنشرها رقمياً على الشبكة عوضاً عن نشرها في كتاب ورقي كالعادة وبالتالي فهو لم يأت بجديد إلاّ في مجال النشر الرقمي أو الرواية الرقمية•

وفي نفس الوقت كنت قد انتهيت من كتابة روايتي ظلال الواحد التي استخدمت في بنائها تقنيـة الـالمستخدمة في بناء صفحات الويب وقمت بنشرها رقمياً على شبكة الإنترنت على موقعي www.sanajlehshadows.8k.com:من غير مساعدة من أحد، وبعد ذلك بقليل قام روائي هندي بكتابة رواية أخرى باستخدام التقنيات الرقمية المستخدمة في بناء البريد الإلكتروني، ولست أدري إنْ كان هنالك آخرون غيرنا قد استخدموا تقنيات أخرى في الكتابةالروائية، ولكم أنْ تتخيلوا الصيغ والأشكال الأخرى التي لم تستخدم بعد•

المراجع

*الأعمال بسرعة التفكير في عصر النظام العصبي الرقمي / بيل جيتس

Business @ the Speed of Thought: Succeeding in the Digital Economy By: bill gates Publisher: Warner Books; 1st edition (May 15, 2000)

*الفتوحات المكية / محي الدين ابن عربي/ دار صادر / بيروت/ د.ت.

*فلسفة التأويل عند ابن عربي / نصر حامد أبو زيد.

*الثابت والمتحول / صدمة الحداثة/ علي أحمد سعيد (أدونيس)/ دار العودة بيروت.

*فن الرواية / ميلان كونديرا/ ترجمة أمل منصور / المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الفصل الثاني

الشخصية والموضوع في رواية الواقعية الرقمية

-العصر الرقمي والإنسان الافتراضي

-من هو الإنسان الافتراضي

الشخصية والموضوع في رواية الواقعية الرقمية

العصر الرقمي والإنسان الافتراضي

إننا نشهد الآن لحظة تاريخية حاسمة في تاريخ الجنس البشري كله، وهذه اللحظة هي ثورة حقيقية شاملة أكبر وأشمل وأعظم من كل الثورات التي مرت على هذا المخلوق المسمى الإنسان منذ بدء وجوده في هذا الكون، هي أهم من اكتشاف النار والعجلة وترويض الحيوان، وأهم من الثورة الصناعية والتكنولوجية • هي تماما تشبه تلك اللحظة التي تحول بها إنسان النيندترال من كينونته تلك إلى الإنسان العاقل كما نعرفه الآن•

ذلك أننا نعيش لحظة تحول أخرى يتحول بها الإنسان العاقل أو ما يمكن أنْ نسميه بالإنسان الحقيقي إلى نوع آخر من الإنسانية نطلق عليه اسم الإنسان الافتراضي•

نحن نتطور •••نتحول ••نصبح شيئا آخر •••لكن ما هو هذا الشيء أو الكائن الجديد الذي أطلقنا عليه اسم الإنسان الافتراضي وبماذا يختلف ويلتقي مع الإنسان العاقل؟؟؟

facebook.com/the.Boooks

هذه الأسئلة هي ما سنحاول الإجابة عنه وما ستتناوله رواية الواقعية الرقمية بمفهومها الشمولي القادم والذي سيتبلور سريعا جدا في السنوات القليلة المقبلة.

من هو الإنسان الافتراضي؟؟؟

هو أشبه ما يكون بالبرنامج الإلكتروني، فهذا الإنسان سيأكل ويشرب ويحب ويضاجع بطريقة رقمية، وهو سيعيش في مجتمع رقمي بالكامل، وسيعيش في مدينة مفترضة هائلة الضخامة مدينة واحدة تشمل العالم كله، وهذه المدينة موجودة في الخيال فقط، وهذا الإنسان لن يضطر أنْ يذهب إلى مكاتب ليزاول عمله، ولن يضطر للذهاب لمحلات تجارية ليشتري منها ولا إلى مطاعم ليأكل بها ولا إلى سيارات ليتنقل بها ولا إلى نواد اجتماعية ليقابل أصدقاءه بها...

هذا الإنسان لن يضطر للذهاب إلى أي مكان، وذلك لأنه ببساطة موجود في كل مكان.

ستصبح المحلات التجارية والمكاتب والشركات والمطاعم والأندية من مخلفات التاريخ، سيجلس هذا الإنسان يوما ليكتب، أو يدردش مع أصدقائه ليقول، تصوروا أنّ إنسان الزمن الماضي كان يضطر للصحو في الساعة السابعة من صباح كل يوم ليذهب إلى عمله، وكان يضطر أنْ يذهب إلى ما كان يسميه بالسوق التجاري ليشتري ملابسه منها،

ويضطر أنْ يذهب إلى ما كان يسمى بالمطعم ليأكل وفي المساء يذهب لمبنى يعرف بالنادي ليقابل أصدقاءه• تصوروا؟؟؟

ما الذي يعنيه هذا؟؟

هل سنصبح محل تندر أحفادنا وموضع سخريتهم •••يبدو هذا محتوما، فحفيدي الذي سأطلق عليه اسم س سيعمل من بيته ومكتبه كمبيوتره المحمول الذي سيختلف بالتأكيد وكثيراً عن كمبيوتر جده (من المتوقع أنْ يصبح كمبيوتر العصر القادم داخل جسد الإنسان وليس خارجه، حيث سيتم زرع رقاقة صغيرة جداً داخل الدماغ البشري تؤمن هذا الرقاقة الاتصال المباشر والدائم مع الشبكة الدولية وسيستطيع الإنسان الافتراضي من خلال ارتداء قناع معين أو وصلة من الرقائق تغطي منطقة العينين والأذنين من إنشاء اتصال فوري وفي أي لحظة يريد مع الشبكة، كما سيصبح الدماغ البشري نفسه هو الـهارد ديسك المحمل بشتى أصناف المعلومات والمتصل مباشرة بسيل المعلومات الذي لا ينقطع، وسيكون الاختلاف بين الإنسان والإنسان معدل الذكاء هو في مقدار ما يتحمله دماغه من سعة، حيث ستصبح سعة الدماغ هي المقياس، يقول أستاذ الفيزياء النظرية بمركز المعلومات في جامعة سيتي الأميركية ميشيو كاكو في محاضرة في المؤتمر الثامن لمركز الإمارات للدراسات

والبحوث الاستراتيجية حول التقنية الحيوية، إنه سيتم حقن الكمبيوترات في الجسم البشري حيث ستكون مثل حبة الأسبرين فيها راديو وتلفزيون وكاميرا للتصوير داخل الجسم وتحليله وإعطاء معنى جديد عن التفاعلات التي تحدث داخل الجسم•)(1(

وحفيدي س هذا لن يضطر إلى الذهاب للتسوق من أي سوق تجاري، وذلك لأن هذه المحلات لن تكون موجودة أصلاً وبدلاً من ذلك سيشتري كل ما يحتاج إليه عن طريق كمبيوتره الشخصي فما عليه مثلا إلاّ أنْ يدخل إلى لينك خاص داخل كمبيوتره، وفي هذا اللينك الذي سيحمل اسم أسواق مثلا، سيختار لينك ثاني اسمه ملابس جاهزة، ومنه سينتقل إلى لينك ثالث اسمه قمصان، وهناك سيجد آلافاً مؤلفة من كافة أنواع وأشكال القمصان، وسيختار منها ما يناسبه، وما عليه سوى أنْ يعمل ضغطة كليك صغيرة ليجد قميصه بين يديه افتح يا سمسم

أما إذا جاع هذا السين، فلن يضطر إلى التحرك من مكانه، وكل ما عليه أنْ يفعله هو أنْ يدخل إلى لينك آخر داخل الشبكة تحت عنوان مطاعم مثلاً وهناك سيختار ما يشاء من الطعام والوجبات الغذائية و just click صغيرة ويأتيه طعامه بين يديه•

أّما أصدقاؤه فلن يضطر لأن يركب سيارته ليذهب إلى أي مكان ليلاقيهم وذلك لأنه ببساطة سيقابلهم خلال غرف الدردشة في أي وقت يشاء، وهناك سيجد صديقته وحبيبته، وإذا ما استبدت الرغبة الجنسية بحفيدي هذا فليس عليه سوى أنْ يضع المجسات على جسده ويدخل إلى لينك يسمى جنس وهناك سيختار نموذج المرأة التي يحب ويشتهي وبالمواصفات التي ستتفتق عنها رغباته ليضاجعها بالطريقة التي يحب ويرغب.

ما الذي يعنيه هذا ؟؟

إنّ هذا يعني ببساطـة إلغاء بعدي الزمان والمكان، فلا زمان ولا مكان ولا كائناً كـان الاه، هو الواحـد المعروف قبل الحد وقبل الحروف، لا راد لمشيئته، ولا شيء أمام رغبته إذا أراد شيئا فإنما يقول له كليك فيكون، فأمره بين الكاف والكاف يكون.

وحفيدي هذا ألـ س سيتخطى في وجوده قيد المكان وسجن الزمان، سيتخطاهما، هو الروح الموجودة في كل مكان، ذاك الذي سيخترق الجدران ويعبر الأزمان ليأتي إلي وينقذني من عتمة القبر كما آمل ويعيد بعثي استنساخي من جديد.

ولعل واحداً من أهمّ الإنجازات المتوقعة للعصر الرقمي هو التغلّب على الموت من خلال إطالة الحياة إلى أبعد بكثير مما يمكن تخيله عن طريق استخدام الهندسة الوراثية والكيمياء الحيوية، حيث سيتمكن العلماء من علاج الجينات وتصميم الأخطاء والعيوب وهو ما يؤمن القضاء على السرطانات كما سيكون في الإمكان زرع الجلد والدم وكافة الأعضاء وإعادة إنتاج الأجهزة العصبية الصعبة بعد الحصول على قاموس متكامل لجميع الجسم البشري • حيث إنّ العلاج بالجينات سيصير الأمل لمعالجة الكثير من الأمراض الخبيثة وخاصة السرطانات وهو أمر يعد أحد أكبر أهداف التقنية الحيوية • بل إنّ مرض السرطان مثلا سيكون من مخلفات التاريخ تماما كما هو الحال مع مرض الطاعون مثلا•(2(

وسيرافق هـذا التحـوّل من الإنسان العاقل (الحقيقي/ الواقعي) إلى الإنسان الرقمي الافتراضي، انهيار كامل في منظومة القيم الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية التي تحكم مجتمعاتنا•

فلن يوجد هناك أديان متعددة ومتنافرة على الأقل بالمعنى الموجود الآن، ولن يوجد هناك أوطان وجغرافيا، ولن يكون هناك حدود لأن الدول نفسها ستنتهي، ولن يكون هناك صراع حضارات، فحضارة واحدة فقط هي من ستوجد وتسود، ولن توجد هناك حروب بالمعنى المعروف (

facebook.com/the.Boooks

المتوقع أنْ ينهي العصر الرقمي عصر الحروب الدموية، وسيكون هذا واحداً من أهم إنجازات هذه الثورة التي ستؤدي إلى انتهاء نهر الدماء الجاري بغزارة منذ بدء البشرية.(

وإنما ستتحول الحروب إلى حروب افتراضية أشد وأقسى، وإن كانت بلا دماء، وستنهار الأسرة وستنتفي الحاجة إلى مؤسسة الزواج، فإذا ما أراد حفيدي هذا أنْ ينجب طفلاً مثلاً فما عليه سوى أنْ يعمل كليك صغيرة على لينك الأسرة وهناك سيختار طفله بالمواصفات التي يريد وإن كان متديناً مثلاً، فسيختار المرأة التي يريد أنْ ينجب منها ويتزوجها لمدة ساعة يأخذ منها البويضة ويلقحها بحيوانه المنوي ثم يتم زرع هذا الزيجوت في رحم اصطناعي (لن تحتاج النساء للحمل وقصصه) وبعد بعض الوقت يحصل على طفله، الذي قد لا يرغب بمتاعب تربيته فيعهد به إلى معهد متخصص في التربية ويختار له الطريقة الملائمة التي يحب أنْ ينشأ عليها، وحين يكبر ابن هذا السين فلن يضطر للذهاب إلى المدرسة حيث ستقوم المدرسة الإلكترونية بالمهمة حيث إنّ التعليم في هذا العصر سيعتمد على المدرسة الإلكترونية، حيث التقنية الجديدة من الحواسيب والأجهزة المرتبطة بها والشبكات وخاصة الإنترنت ستكون أدوات شائعة وستؤدي هذه التقنية إلى تغير جذري في العملية التعليمية.

وهذه المرحلة ما هي إلاّ نتاج للعصر الإلكتروني الرقمي وما يقدمه من تقانات: شرائح السيليكون، أجهزة التلفون، آلات الفاكس، الكاميرات الفيديوية، الحواسب، وسائل الاتصالات وما تستخدمه من تقانات الألياف البصرية والأقمار الصناعية، وسائل تخزين المعلومات، الشبكات حول العالم وخاصة الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)(3٠(

ويمكن ببساطة القول بأنّ عالم الغد هو عالم مليء بالصور والصوت عبر الوسائل المختلفة (تلفزيون، راديو، حواسب، جرائد، مجلات، إعلانات)، ويمكن وصف الثقافة القادمة بأنها ثقافة القراءة –الكتابة عن طريق الوسائط(4٠(

ومن المتوقع أنْ يحدث العصر الرقمي ثورة في التعليم حيث تمكن تقانات هذا العصر الطلاب من أنْ يصبحوا أكثر نشاطاً وأكثر استقلالية في تعلمهم ٠فالإنترنت سوف تسمح بإقامة تجمعات ذات بنى معـرفية جـديدة يمكن فيها للأطفال وللبالغين في أنحاء العالم من أنْ يتعاونوا وأن يتعلموا الواحد من الآخر(5٠(

وسوف تسمح أجهزة الكمبيوتر للطلاب بتحمل مسؤولية التعلم عن طريق الاستكشاف والتعبير والتجربة ٠ وهذا سينقل دور الطالب من كونه متلقن إلى متعلم ودور المعلم من ملقن إلى متعاون أو موجه (6(

facebook.com/the.Boooks

سيتغير تبعاً لذلك نظام القيم ومفهوم الأخلاق والعادات والتقاليد وما إلى ذلك من التسميات والأطر وسيحل بدلاً من كل هذا قيم أخرى جديدة ومختلفة كلية، وعلاقات جديدة ومختلفة نستطيع أنْ نتصورها فقط ولكن سيكون من الصعب أنْ نحددها بدقة • تماما كما لم يكن أبداً يتخيل إنسان النيندترال منظومة القيم التي اخترعها حفيده الإنسان العاقل•

وفي الحقيقة، وهـذا لأولئـك الذيـن أصيبوا بالرعب، فإن منظومة القيم الجديدة هـذه ستكون منسجمة تماماً مع هذا الإنسان الجديد، تماما كما كانت منظومة القيم التي اخترعناها منسجمة مع كينونتنا وظروفنا وبيئتنا المحيطـة، ومختلفة كلية بالتأكيد مع منظومة القيم التي كانت سائدة في عصر إنسان النيندترال، فالإنسان الافتراضي سيكون مثلنا منسجماً مع بيئته الجديدة، وإذا كنّا مرعوبين من هذا الإنسـان القادم وقيمه، فلكم أنْ تتخيلوا رعب إنسان النيندترال لو وجد الآن وعايش منظومة قيمنا!!!

إنّ ما سبق كله يعني أنّ هذا الشخص الإنسان الافتراضي، سيكون كائناً متفرداً، متوحداً مع ذاته ومكتفياً بها وبغير حاجة إلى الآخرين إلاّ في أقل الحدود الممكنة، وهذا الإنسان ستكون ذاته هي موضوعه الأساسي، وبذا

سيعود الإنسان إلى طبيعته الأساسية وهي الطبيعة المتفردة، فالاجتماع الإنساني كان وليد الحاجات، وصفة أنّ الإنسان هو كائن اجتماعي إنما خلقتها الحاجة والضرورة وليست الطبيعة فطبيعة الإنسان وكينونته هي في ذاته وكما قال المتصوفة قديما الإنسان هو الكون الأصغر فيه كل ما في الكون هو نجم كائن قائم بذاته، وليس بحاجة للاجتماع ليتحقق، فحقيقته كينونته، وكينونته تفرده•

ولكن هل هذا يعني أنّ المجتمع سينتهي؟؟

الإجابة هي نعم ولا•

- فالمجتمع بصيغته الحالية المعروفة لن يعود له وجود ولكن – كما أتوقع سيتشكل شكل آخر من المجتمع هو المجتمع الرقمي، وفي هذا المجتمع لن يتعارف الناس بأشكالهم ووجوهم الحقيقية، وإنما سيكون لكل إنسان شكل وهوية افتراضية يستطيع هو أنْ يشكلها حسب رغباته أو كما يحب، وهذه الصورة هي ما يمكن أنْ نطلق عليها اسم الصورة الرقمية للكائن ويحضرني هنا فيلم الماتركيس في جزئه الأول المنتج عام 9991م للأخوين واشوسكي وهو واحد من أعظم الأفلام التي أنتجت على مر التاريخ، حيث يدخل نيو بعد تحوله إلى برنامج كمبيوتري خاص، وهناك يشاهد صورته الرقمية أو الطبيعة الرقمية لذاته، وقد

facebook.com/the.Boooks

كانت تلك الطبيعة في غاية الجمال، حيث إنّ هذه الطبيعة تعكس رؤيتنا المستترة المتخيلة عن أنفسنا، وقد أدهشت نيو جمال صورته المتخيلة إلى درجة أنه لم يكد يعرف نفسه.

هذا لا يعني أنّ صورنا الرقمية ستكون دائما بذلك الجمال، فهناك أناس لن يتخيلوا أنفسهم هكذا أو أنّ حقيقتهم الداخلية ليست جميلة وبالتالي فإنّ الصورة الرقمية لهم ستعكس ما هم عليه حقيقة وسيتواجدون بشكل شرير داخل المجتمع الرقمي، فهذا المجتمع لن يكون خيراً بالكامل، بل هو مجتمع فيه الخير وفيه الشر، وفيه ما بين اللونين، في الحقيقة فيه كل ألوان الطيف، وسأسرد هنا قصة حقيقية عشتها شخصيا في المجتمع الرقمي الآخذ بالتشكل.

كنت معتاداً على الدخول إلى غرف الدردشة، وقد كنت أدخـل على شات مكتوب كلّما وجدت نفسي ضجراً، وذات يوم وبلا وعي مـني تشكلت صورتي الرقمية فاتخذت اسم نزا ر as a nick name وهـو اسم أحبه منذ تعرفـي على قصائد نزار قباني أثناء مراهقتي وكنت دائماً أتمنى أنْ يكون اسمي نزار، واخترعت غرفة أسميتها love kingdomوكتبت على بابها وطن الحب والحرية كعنوان لها وجعلت شعاراً للغرفة مقطوعة أدونيس الشعرية:

facebook.com/the.Boooks

الحب نبيذ الكون

وهذا العالم دن

والأيام كؤوس

وقد تطور هذا الشعار ليصبح السلام الوطني لمملكة الحب والحرية فيما بعد.

أخذ الزوار يدخلون إلى الغرفة، واحد في البداية اتخذ لنفسه اسم جوفي وكان هذا شاباً سودانياً يدرس الطب في روسيا كما عرفت فيما بعد، وبعد قليل من الدردشة صرنا صديقين حميمين وطرحت عليه فكرتي في خلق وطن لكل الشباب العرب شعاره الحب والحرية، بحيث تصبح غرفتنا هذه مكانا للقاء كل الأحرار والعشاق في العالم، وقد تحمس كثير للفكرة، لتبدأ المغامرة الكبرى، فقد أخذ يتوافد علينا الشباب والزوار من كافة أرجاء العالم الافتراضي، أصدقاء من كل أنحاء الوطن العربي والعالم، وشيئا فشيئا أصبحت الغرفة تزداد رسوخا وشهرة فاتخذت وزيراً لي كان اسمه المهندس وهو شاب فلسطيني من غزة وأحد أعضاء حركة حماس وقد اتخذ هذا الاسم الافتراضي تيمنا بالمهندس يحيى عياش الذي اغتالته المخابرات الإسرائيلية في قصة الموبايل الشهيرة، واتخذت ملكة للمملكة وهي فتاة لبنانية كانت تأخذ اسم ليليان ولكني اقترحت

facebook.com/the.Boooks

عليها تغيير النيك نيم إلى بلقيس فوافقت وهكذا صار لنزار ملك العشاق بلقيسه وملكته، ثم تطور الأمر فانتخبنا مجلس وزراء للدولة وبرلمان خاص بها، وفجأة حدث الانقلاب وقد قاده وزيري الأول المهندس وكانت وجهة نظره معقولة جداً وتتلخص بما يأتي: بما أنّ هذه الغرفة هي وطن للحب والحرية، وحيث إنّ الحرية هي شعارها الأساسي، فلماذا نزار هو الملك ولماذا هي مملكة أصلاً، وكان الاقتراح أنْ يتم تحويلها إلى جمهورية اسمها جمهورية الحب والحرية، وقد لاقى اقتراحه تأييداً كبيراً من قبل شباب الغرفة، إلاّ أنّ المعارضة وهنا كانت المفاجأة أتت من صبايا الغرفة اللواتي تمسكن باسمها كـ مملكة الحب والحرية، وتمسكن بملكها نزار كملك غير منازع للوطن • وكانت سلاف وهي صبية مغربية تدرس الآداب في جامعة الرباط من تقود هذا التجمع أما الملكة فكان موقفها معروفاً طبعاً، وحدث كلام كثير اتخذت فيه دور الصامت إلى أنْ اقترحت سلاف إجراء استفتاء عام بين أعضاء الوطن على مجمل الموضوع، وقد تم تحديد موعد الاستفتاء وتاريخه بعد ثلاث ليال وذلك حتى يتمكن كل طرف من استقطاب مؤيديه وحتى يكتمل النصاب بحضور كافة مواطني الدولة، في اليوم/ الليلة المحددة حدث الاقتراع، وقد كانت النتيجة مذهلة لي فقد سقط اقتراح وزيري سقوطا مدوياً، لأكتشف حينها أنّ شعبيتي كانت أكبر مما كنت أتوقع،

facebook.com/the.Boooks

بعد سقوط الاقتراع أقلت وزيري الأول وعينت سلاف بدلاً منه، وهنا بدأت المشاكل، فقد غير وزيري من كينونته الرقمية، وجاء في الليلة التالية وقد اتخذ اسم زحمان وبدا بهجوم كاسح ضدي شخصياً وضد سلاف وبلقيس ولورا وفطوم وبقية صبايا الغرفة، وكان له مساعدون لم أعرفهم لأنهم غيروا من أشكالهم الرقمية، وكان مستوى الخطاب متدنياً جداً بل وبذيئا للغاية، وحيث إنّ الأخلاق كانت شعارنا الأساسي وقانوننا الذي لا نحيد عنه، فقد التزمنا الصمت في البداية ولم نرد على سيل الشتائم الذي انهال علينا، لكن الأمر زاد عن حده فعقدنا اجتماعاً في أحد الغرف الجانبية وقررنا الانسحاب، وهكذا كان أغلقت الغرفة وغادرناها جميعاً ولم يبق في وطن الحب والحرية سوى المتمردين.

في الليلة التالية عدنا بأمل أنْ يكون هجوم الحقد قد انتهى لكن هذا لم يكن سوى أمنيات بائسة فقد انضم للمتمردين أشخاص آخرون، وفجأة أصبح وطن العشاق وطناً للبذاءة فلم يتمالك بعض الأصدقاء والصديقات أنفسهم من كيل الشتائم التي تنهال عليهم فأخذوا بالرد بطريقة مشابهة وهو الشيء الذي يخالف دستور دولة الحب والحرية، وعندها اتخذت قراري. وكان هو القرار الأخير وما زلت احتفظ بصيغته للآن باسم دولة العشاق ووطن الحب والحرية، ونظراً للتطورات

اللاأخلاقية التي تتم في الغرفة فقد قررت مغادرة الغرفة إلى الأبد وإلغاء وطن الحب والحرية

التوقيع

هذا الإنسان لن يضطر للذهاب إلى أي مكان، وذلك لأنه ببساطة موجود في كل مكان.

ستصبح المحلات التجارية والمكاتب والشركات والمطاعم والأندية من مخلفات التاريخ، سيجلس هذا الإنسان يوما ليكتب، أو يدردش مع أصدقائه ليقول، تصوروا أنّ إنسان الزمن الماضي كان يضطر للصحو في الساعة السابعة من صباح كل يوم ليذهب إلى عمله، وكان يضطر أنْ يذهب إلى ما كان يسميه بالسوق التجاري ليشتري ملابسه منها، ويضطر أنْ يذهب إلى ما كان يسمى بالمطعم ليأكل وفي المساء يذهب لمبنى يعرف بالنادي ليقابل أصدقاءه. تصوروا؟؟؟

ما الذي يعنيه هذا؟؟

هل سنصبح محل تندر أحفادنا وموضع سخريتهم ...يبدو هذا محتوما، فحفيدي الذي سأطلق عليه اسم س سيعمل من بيته ومكتبه كمبيوتره المحمول الذي سيختلف بالتأكيد وكثيراً عن كمبيوتر جده (من المتوقع

أنْ يصبح كمبيوتر العصر القادم داخل جسد الإنسان وليس خارجه، حيث سيتم زرع رقاقة صغيرة جداً داخل الدماغ البشري تؤمن هذا الرقاقة الاتصال المباشر والدائم مع الشبكة الدولية وسيستطيع الإنسان الافتراضي من خلال ارتداء قناع معين أو وصلة من الرقائق تغطي منطقة العينين والأذنين من إنشاء اتصال فوري وفي أي لحظة يريد مع الشبكة، كما سيصبح الدماغ البشري نفسه هو الـهارد ديسك المحمل بشتى أصناف المعلومات والمتصل مباشرة بسيل المعلومات الذي لا ينقطع، وسيكون الاختلاف بين الإنسان والإنسان معدل الذكاء هو في مقدار ما يتحمله دماغه من سعة، حيث ستصبح سعة الدماغ هي المقياس، يقول أستاذ الفيزياء النظرية بمركز المعلومات في جامعة سيتي الأميركية ميشيو كاكو في محاضرة في المؤتمر الثامن لمركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية حول التقنية الحيوية، إنه سيتم حقن الكمبيوترات في الجسم البشري حيث ستكون مثل حبة الأسبرين فيها راديو وتلفزيون وكاميرا للتصوير داخل الجسم وتحليله وإعطاء معنى جديد عن التفاعلات التي تحدث داخل الجسم•)(1(

وحفيدي س هذا لن يضطر إلى الذهاب للتسوق من أي سوق تجاري، وذلك لأن هذه المحلات لن تكون موجودة أصلاً وبدلاً من ذلك سيشتري كل ما يحتاج إليه عن طريق كمبيوتره الشخصي فما عليه مثلا

facebook.com/the.Boooks

إلاّ أنْ يدخل إلى لينك خاص داخل كمبيوتره، وفي هذا اللينك الذي سيحمل اسم أسواق مثلا، سيختار لينك ثاني اسمه ملابس جاهزة، ومنه سينتقل إلى لينك ثالث اسمه قمصان، وهناك سيجد آلافاً مؤلفة من كافة أنواع وأشكال القمصان، وسيختار منها ما يناسبه، وما عليه سوى أنْ يعمل ضغطة كليك صغيرة ليجد قميصه بين يديه افتح يا سمسم

أما إذا جاع هذا السين، فلن يضطر إلى التحرك من مكانه، وكل ما عليه أنْ يفعله هو أنْ يدخل إلى لينك آخر داخل الشبكة تحت عنوان مطاعم مثلاً وهناك سيختار ما يشاء من الطعام والوجبات الغذائية و just click صغيرة ويأتيه طعامه بين يديه•

أّما أصدقاؤه فلن يضطر لأن يركب سيارته ليذهب إلى أي مكان ليلاقيهم وذلك لأنه ببساطة سيقابلهم خلال غرف الدردشة في أي وقت يشاء، وهناك سيجد صديقته وحبيبته، وإذا ما استبدت الرغبة الجنسية بحفيدي هذا فليس عليه سوى أنْ يضع المجسات على جسده ويدخل إلى لينك يسمى جنس وهناك سيختار نموذج المرأة التي يحب ويشتهي وبالمواصفات التي ستتفتق عنها رغباته ليضاجعها بالطريقة التي يحب ويرغب•

ما الذي يعنيه هذا ؟؟

إنّ هذا يعني ببساطـة إلغاء بعدي الزمان والمكان، فلا زمان ولا مكان ولا كائناً كـان الاه، هو الواحـد المعروف قبل الحد وقبل الحروف، لا راد لمشيئته، ولا شيء أمام رغبته إذا أراد شيئا فإنما يقول له كليك فيكون، فأمره بين الكاف والكاف يكون•

وحفيدي هذا ألـ س سيتخطى في وجوده قيد المكان وسجن الزمان، سيتخطاهما، هو الروح الموجودة في كل مكان، ذاك الذي سيخترق الجدران ويعبر الأزمان ليأتي إلي وينقذني من عتمة القبر كما آمل ويعيد بعثي استنساخي من جديد•

ولعل واحداً من أهمّ الإنجازات المتوقعة للعصر الرقمي هو التغلّب على الموت من خلال إطالة الحياة إلى أبعد بكثير مما يمكن تخيله عن طريق استخدام الهندسة الوراثية والكيمياء الحيوية، حيث سيتمكن العلماء من علاج الجينات وتصميم الأخطاء والعيوب وهو ما يؤمن القضاء على السرطانات كما سيكون في الإمكان زرع الجلد والدم وكافة الأعضاء وإعادة إنتاج الأجهزة العصبية الصعبة بعد الحصول على قاموس متكامل لجميع الجسم البشري • حيث إنّ العلاج بالجينات سيصير الأمل لمعالجة الكثير من الأمراض الخبيثة وخاصة السرطانات وهو أمر يعد أحد أكبر

أهداف التقنية الحيوية • بل إنّ مرض السرطان مثلا سيكون من مخلفات التاريخ تماما كما هو الحال مع مرض الطاعون مثلا•(2(

وسيرافق هـذا التحـوّل من الإنسان العاقل (الحقيقي/ الواقعي) إلى الإنسان الرقمي الافتراضي، انهيار كامل في منظومة القيم الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية التي تحكم مجتمعاتنا•

فلن يوجد هناك أديان متعددة ومتنافرة على الأقل بالمعنى الموجود الآن، ولن يوجد هناك أوطان وجغرافيا، ولن يكون هناك حدود لأن الدول نفسها ستنتهي، ولن يكون هناك صراع حضارات، فحضارة واحدة فقط هي من ستوجد وتسود، ولن توجد هناك حروب بالمعنى المعروف (المتوقع أنْ ينهي العصر الرقمي عصر الحروب الدموية، وسيكون هذا واحداً من أهم إنجازات هذه الثورة التي ستؤدي إلى انتهاء نهر الدماء الجاري بغزارة منذ بدء البشرية•(

وإنما ستتحول الحروب إلى حروب افتراضية أشد وأقسى، وإن كانت بلا دماء، وستنهار الأسرة وستنتفي الحاجة إلى مؤسسة الزواج، فإذا ما أراد حفيدي هذا أنْ ينجب طفلاً مثلاً فما عليه سوى أنْ يعمل كليك صغيرة على لينك الأسرة وهناك سيختار طفله بالمواصفات التي يريد وإن كان متديناً مثلاً، فسيختار المرأة التي يريد أنْ ينجب منها ويتزوجها لمدة ساعة

يأخذ منها البويضة ويلقحها بحيوانه المنوي ثم يتم زرع هذا الزيجوت في رحم اصطناعي (لن تحتاج النساء للحمل وقصصه) وبعد بعض الوقت يحصل على طفله، الذي قد لا يرغب بمتاعب تربيته فيعهد به إلى معهد متخصص في التربية ويختار له الطريقة الملائمة التي يحب أنْ ينشأ عليها، وحين يكبر ابن هذا السين فلن يضطر للذهاب إلى المدرسة حيث ستقوم المدرسة الإلكترونية بالمهمة حيث إنّ التعليم في هذا العصر سيعتمد على المدرسة الإلكترونية، حيث التقنية الجديدة من الحواسيب والأجهزة المرتبطة بها والشبكات وخاصة الإنترنت ستكون أدوات شائعة وستؤدي هذه التقنية إلى تغير جذري في العملية التعليمية.

وهذه المرحلة ما هي إلاّ نتاج للعصر الإلكتروني الرقمي وما يقدمه من تقانات: شرائح السيليكون، أجهزة التلفون، آلات الفاكس، الكاميرات الفيديوية، الحواسب، وسائل الاتصالات وما تستخدمه من تقانات الألياف البصرية والأقمار الصناعية، وسائل تخزين المعلومات، الشبكات حول العالم وخاصة الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)(3.(

ويمكن ببساطة القول بأنّ عالم الغد هو عالم مليء بالصور والصوت عبر الوسائل المختلفة (تلفزيون، راديو، حواسب، جرائد، مجلات،

facebook.com/the.Boooks

إعلانات)، ويمكن وصف الثقافة القادمة بأنها ثقافة القراءة –الكتابة عن طريق الوسائط(4•(

ومن المتوقع أنْ يحدث العصر الرقمي ثورة في التعليم حيث تمكن تقانات هذا العصر الطلاب من أنْ يصبحوا أكثر نشاطاً وأكثر استقلالية في تعلمهم •فالإنترنت سوف تسمح بإقامة تجمعات ذات بنى معـرفية جـديدة يمكن فيها للأطفال وللبالغين في أنحاء العالم من أنْ يتعاونوا وأن يتعلموا الواحد من الآخر(5•(

وسوف تسمح أجهزة الكمبيوتر للطلاب بتحمل مسؤولية التعلم عن طريق الاستكشاف والتعبير والتجربة • وهذا سينقل دور الطالب من كونه متلقن إلى متعلم ودور المعلم من ملقن إلى متعاون أو موجه (6(

سيتغير تبعاً لذلك نظام القيم ومفهوم الأخلاق والعادات والتقاليد وما إلى ذلك من التسميات والأطر وسيحل بدلاً من كل هذا قيم أخرى جديدة ومختلفة كلية، وعلاقات جديدة ومختلفة نستطيع أنْ نتصورها فقط ولكن سيكون من الصعب أنْ نحددها بدقة • تماما كما لم يكن أبداً يتخيل إنسان النيندترال منظومة القيم التي اخترعها حفيده الإنسان العاقل•

وفي الحقيقة، وهـذا لأولئـك الذيـن أصيبوا بالرعب، فإن منظومة القيم الجديدة هـذه ستكون منسجمة تماماً مع هذا الإنسان الجديد، تماما كما كانت منظومة القيم التي اخترعناها منسجمة مع كينونتنا وظروفنا وبيئتنا المحيطـة، ومختلفة كلية بالتأكيد مع منظومة القيم التي كانت سائدة في عصر إنسان النيندترال، فالإنسان الافتراضي سيكون مثلنا منسجماً مع بيئته الجديدة، وإذا كنّا مرعوبين من هذا الإنسـان القادم وقيمه، فلكم أنْ تتخيلوا رعب إنسان النيندترال لو وجد الآن وعايش منظومة قيمنا!!!

إنّ ما سبق كله يعني أنّ هذا الشخص الإنسان الافتراضي، سيكون كائناً متفرداً، متوحداً مع ذاته ومكتفياً بها وبغير حاجة إلى الآخرين إلاّ في أقل الحدود الممكنة، وهذا الإنسان ستكون ذاته هي موضوعه الأساسي، وبذا سيعود الإنسان إلى طبيعته الأساسية وهي الطبيعة المتفردة، فالاجتماع الإنساني كان وليد الحاجات، وصفة أنّ الإنسان هو كائن اجتماعي إنما خلقتها الحاجة والضرورة وليست الطبيعة فطبيعة الإنسان وكينونته هي في ذاته وكما قال المتصوفة قديما الإنسان هو الكون الأصغر فيه كل ما في الكون هو نجم كائن قائم بذاته، وليس بحاجة للاجتماع ليتحقق، فحقيقته كينونته، وكينونته تفرده•

ولكن هل هذا يعني أنّ المجتمع سينتهي؟؟

الإجابة هي نعم ولا.

- فالمجتمع بصيغته الحالية المعروفة لن يعود له وجود ولكن – كما أتوقع سيتشكل شكل آخر من المجتمع هو المجتمع الرقمي، وفي هذا المجتمع لن يتعارف الناس بأشكالهم ووجوههم الحقيقية، وإنما سيكون لكل إنسان شكل وهوية افتراضية يستطيع هو أنْ يشكلها حسب رغباته أو كما يحب، وهذه الصورة هي ما يمكن أنْ نطلق عليها اسم الصورة الرقمية للكائن ويحضرني هنا فيلم الماتركيس في جزئه الأول المنتج عام 9991م للأخوين واشوسكي وهو واحد من أعظم الأفلام التي أنتجت على مر التاريخ، حيث يدخل نيو بعد تحوله إلى برنامج كمبيوتري خاص، وهناك يشاهد صورته الرقمية أو الطبيعة الرقمية لذاته، وقد كانت تلك الطبيعة في غاية الجمال، حيث إنّ هذه الطبيعة تعكس رؤيتنا المستترة المتخيلة عن أنفسنا، وقد أدهشت نيو جمال صورته المتخيلة إلى درجة أنه لم يكد يعرف نفسه.

هذا لا يعني أنّ صورنا الرقمية ستكون دائما بذلك الجمال، فهناك أناس لن يتخيلوا أنفسهم هكذا أو أنّ حقيقتهم الداخلية ليست جميلة وبالتالي فإنّ الصورة الرقمية لهم ستعكس ما هم عليه حقيقة وسيتواجدون

بشكل شرير داخل المجتمع الرقمي، فهذا المجتمع لن يكون خيراً بالكامل، بل هو مجتمع فيه الخير وفيه الشر، وفيه ما بين اللونين، في الحقيقة فيه كل ألوان الطيف، وسأسرد هنا قصة حقيقية عشتها شخصيا في المجتمع الرقمي الآخذ بالتشكل.

كنت معتاداً على الدخول إلى غرف الدردشة، وقد كنت أدخـل على شات مكتوب كلّما وجدت نفسي ضجراً، وذات يوم وبلا وعي مـني تشكلت صورتي الرقمية فاتخذت اسم نزار as a nick name وهـو اسم أحبه منذ تعرفـي على قصائد نزار قباني أثناء مراهقتي وكنت دائماً أتمنى أنْ يكون اسمي نزار، واخترعت غرفة أسميته ا love kingdomوكتبت على بابها وطن الحب والحرية كعنوان لها وجعلت شعاراً للغرفة مقطوعة أدونيس الشعرية:

الحب نبيذ الكون

وهذا العالم دن

والأيام كؤوس

وقد تطور هذا الشعار ليصبح السلام الوطني لمملكة الحب والحرية فيما بعد.

أخذ الزوار يدخلون إلى الغرفة، واحد في البداية اتخذ لنفسه اسم جوفي وكان هذا شاباً سودانياً يدرس الطب في روسيا كما عرفت فيما بعد، وبعد قليل من الدردشة صرنا صديقين حميمين وطرحت عليه فكرتي في خلق وطن لكل الشباب العرب شعاره الحب والحرية، بحيث تصبح غرفتنا هذه مكانا للقاء كل الأحرار والعشاق في العالم، وقد تحمس كثير للفكرة، لتبدأ المغامرة الكبرى، فقد أخذ يتوافد علينا الشباب والزوار من كافة أرجاء العالم الافتراضي، أصدقاء من كل أنحاء الوطن العربي والعالم، وشيئا فشيئا أصبحت الغرفة تزداد رسوخا وشهرة فاتخذت وزيراً لي كان اسمه المهندس وهو شاب فلسطيني من غزة وأحد أعضاء حركة حماس وقد اتخذ هذا الاسم الافتراضي تيمنا بالمهندس يحيى عياش الذي اغتالته المخابرات الإسرائيلية في قصة الموبايل الشهيرة، واتخذت ملكة للمملكة وهي فتاة لبنانية كانت تأخذ اسم ليليان ولكني اقترحت عليها تغيير النيك نيم إلى بلقيس فوافقت وهكذا صار لنزار ملك العشاق بلقيسه وملكته، ثم تطور الأمر فانتخبنا مجلس وزراء للدولة وبرلمان خاص بها، وفجأة حدث الانقلاب وقد قاده وزيري الأول المهندس وكانت وجهة نظره معقولة جداً وتتلخص بما يأتي: بما أنّ هذه الغرفة هي وطن للحب والحرية، وحيث إنّ الحرية هي شعارها الأساسي، فلماذا نزار هو الملك ولماذا هي مملكة أصلاً، وكان الاقتراح أنْ

يتم تحويلها إلى جمهورية اسمها جمهورية الحب والحرية، وقد لاقى اقتراحه تأييداً كبيراً من قبل شباب الغرفة، إلاّ أنّ المعارضة وهنا كانت المفاجأة أتت من صبايا الغرفة اللواتي تمسكن باسمها كـ مملكة الحب والحرية، وتمسكن بملكها نزار كملك غير منازع للوطن • وكانت سلاف وهي صبية مغربية تدرس الآداب في جامعة الرباط من تقود هذا التجمع أما الملكة فكان موقفها معروفاً طبعاً، وحدث كلام كثير اتخذت فيه دور الصامت إلى أنْ اقترحت سلاف إجراء استفتاء عام بين أعضاء الوطن على مجمل الموضوع، وقد تم تحديد موعد الاستفتاء وتاريخه بعد ثلاث ليال وذلك حتى يتمكن كل طرف من استقطاب مؤيديه وحتى يكتمل النصاب بحضور كافة مواطني الدولة، في اليوم/ الليلة المحددة حدث الاقتراع، وقد كانت النتيجة مذهلة لي فقد سقط اقتراح وزيري سقوطا مدوياً، لأكتشف حينها أنّ شعبيتي كانت أكبر مما كنت أتوقع، بعد سقوط الاقتراع أقلت وزيري الأول وعينت سلاف بدلاً منه، وهنا بدأت المشاكل، فقد غير وزيري من كينونته الرقمية، وجاء في الليلة التالية وقد اتخذ اسم زحمان وبدا بهجوم كاسح ضدي شخصياً وضد سلاف وبلقيس ولورا وفطوم وبقية صبايا الغرفة، وكان له مساعدون لم أعرفهم لأنهم غيروا من أشكالهم الرقمية، وكان مستوى الخطاب متدنياً جداً بل وبذيئا للغاية، وحيث إنّ الأخلاق كانت شعارنا الأساسي

وقانوننا الذي لا نحيد عنه، فقد التزمنا الصمت في البداية ولم نرد على سيل الشتائم الذي انهال علينا، لكن الأمر زاد عن حده فعقدنا اجتماعاً في أحد الغرف الجانبية وقررنا الانسحاب، وهكذا كان أغلقت الغرفة وغادرناها جميعاً ولم يبق في وطن الحب والحرية سوى المتمردين.

في الليلة التالية عدنا بأمل أنْ يكون هجوم الحقد قد انتهى لكن هذا لم يكن سوى أمنيات بائسة فقد انضم للمتمردين أشخاص آخرون، وفجأة أصبح وطن العشاق وطناً للبذاءة فلم يتمالك بعض الأصدقاء والصديقات أنفسهم من كيل الشتائم التي تنهال عليهم فأخذوا بالرد بطريقة مشابهة وهو الشيء الذي يخالف دستور دولة الحب والحرية، وعندها اتخذت قراري. وكان هو القرار الأخير وما زلت احتفظ بصيغته للآن باسم دولة العشاق ووطن الحب والحرية، ونظراً للتطورات اللاأخلاقية التي تتم في الغرفة فقد قررت مغادرة الغرفة إلى الأبد وإلغاء وطن الحب والحرية

التوقيع

مملك مملكة العشاق

نزار الأول

لقد غدت هذه الحكاية هي محور روايتي القادمة والتي أعطيتها عنوانا أوليا هو شات ومن المتوقع أنْ أنتهي من كتابتها مع نهاية هذا العام أو مطلع العام المقبل.

ما أريد أنْ أقوله هو أنّ الزمن تغيّر والمكان تغيّر وبالتالي فإن الإنسان نفسه قد تغيّر تغيّراً شمولياً بحيث إنّ الإنسان الرقمي يختلف كلية عن الإنسان العاقل سواء في اهتماماته أو مجتمعه أو أماله أو طريقة عيشه للحياة ذاتها، فنزار كان يحب ويعشق ويمارس الحب والحياة وله كيانه الاجتماعي المتشابك وصداقاته وأعداؤه وطريقة حياة تختلف كلية عن محمد سناجلة الذي يعيش في مجتمع الإنسان العاقل.

وستنشغل رواية الواقية الرقمية بهذه التغيرات التي ستكون موضوعها الأساسي، وفي البداية سيترافق نزار مع محمد وسيكون هذا الترافق/ التزامل هو موضوعها في البداية، ولكن شيئاً فشيئا سيتلاشى محمد ولن يبقى في النهاية سوى نزار بمجتمعه الجديد المعقد والمختلف.

المراجع

*مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية/ أوراق المؤتمر الثامن لمركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية حول التقنية الحيوية

www.ecssr.ac.ae/

*المصدر السابق

Stephen C. Ehrmann

*** Access and/or Quality? Redefining Choices in the Third Revolution.**

Educom Review, Volume 34, No 5- 1999, & www.educause.edu. 9 pages

Elizabeth Thoman

*** Skills & Strategies for Media Education, 18 pages. www.medialit.org.**

*** The Current State of Technology and Education: How Computers Are Used in K-12 and Brown University Classrooms, 9 pages, 10/1997 Matt Lerner Commission**

*العصر الرقمي والتعليم/ د •حاتم عبدالرحمن أبو السمح، د •صلاح محمد رحال/ موقع وزارة المعارف السعودية على الإنترنت

www.moe.s

الفصل الثالث

اللغة في رواية الواقعية الرقمية

-اللغة كظاهرة اجتماعية

-إفساد اللغة

-المفسد الأول

-المفسد الثاني

-المفسد الثالث

-اللغة الجديدة••لغة الرواية الرقمية

اللغة في رواية الواقعية الرقمية

استعرضت في الفصلين السابقين التطورات التقنية المتسارعة التي جاءت بها ثورة المعلومات وأثرها في الرّواية، وتوصلنا إلى مفهوم جديد على أدبيات الرّواية هو مصطلح رواية الواقعية الرقمية التي تجيء كاستجابة عملية للعصر الجديد•• العصر الرقمي•

غير أنّ إضاءة هذا المفهوم الجديد تبقى ناقصة إذا لم نتحدث عن اللغة : مفهومها ودورها في الكتابة عموماً وفي الكتابة الروائية الجديدة خصوصاً، ولعلّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي لغة الرّواية القادمة؟ وهل اللغة بمفهومها المستقر في الأذهان قادرة على حمل هذه الرّواية، أم أنها بحاجة إلى لغة أخرى جديدة ومختلفة وتتساوق مع العصـر الرقمي الذي ولدت من رحمه الرواية الجديدة؟؟

للإجابة عن هذه الأسئلة لا بدّ من التعريج أولاً ولو بشكل سريع على مفهوم اللغة ••• دورها وأسباب وجودها•

اللغة في الأصل مجموعة من الأصوات يستخدمها الكائن للتعبير عن حاجاته الأساسية، والتواصل مع الآخرين لنيل هذه الحاجات • يقول

facebook.com/the.Boooks

ابن جني في كتابه الخصائص إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم1/ 33.

وهذا يعني أنّ اللغة ظاهرة صوتية ذات أهداف اجتماعية، ويؤيد هذا القول ما ذهب إليه العالم اللغوي فندريس في كتابه اللغة الذي اعتبر أنّ اللغة مجموعة من العلامات والرموز الصوتيةص23

أمّا عن نشأة اللغة فهناك قولان الأول يرى أنّ اللغة من الخالق علمها للإنسان ويحتج أنصار هذا القول بالآية القرآنية وعلم آدم الأسماء كلها

أمّا القول الثاني فيرى أنّ اللغة وضعية وجدت نتيجة الحاجة الإنسانية للتواصل، وأنها تطورت مع تطور الاجتماع الإنساني، وأغلب اللغويين قديماً وحديثاً من أنصار هذا القول، فهذا ابن جني يقول إنّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الريح وهزيم الرعد وخرير المياه ونعيق الغراب وصهيل الفرس ... وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل الخصائص 1/ 64.

facebook.com/the.Boooks

اللغة كظاهرة اجتماعية

إنّ الهدف الأساسي من اللغة هو التواصل: تواصل البشر مع بعضهم البعض ومع البيئة المحيطة، ومغزى الإنسان من التواصل هو تحقيق الحاجات، وهذا يعني أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، فلم توجد اللغة قبل أنْ يوجد الاجتماع الإنساني •يقول فندريس في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلي التفاهم فيما بينهم، وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهممصدر سابق

فإذا اقتنعنا أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية فهذا سيعني أنّ اللغة تتطور وتتغير تبعاً لتطور المجتمع وتغيره، ويعني أيضاً أنّ الوسائل التّعبيرية والقواعد والقوانين التي وضعت لتحكم اللغة في عصر ما لن تكون صالحة بالضرورة لعصر آخر، ونحن نعيش الآن في العصر الرقمي، والثورة الرقمية التي لن تنتظرنا إلاّ إذا فعلنا ما يتوقعه الآخر (الخصم) منا•

يقول لورنت موراويك المستشار في وزارة الدفاع الأمريكية في تقرير قدمه أمام المجلس السياسي في البنتاغون لقد عاش العالم العربي في أزمة منذ 200 سنة، وفوّت فرصة الثورة الصناعية، وهو يضيّع الآن فرصة الثورة الرقمية ويفتقر إلى مؤهلات الانسجام مع العالم الحديث ويضيف محللا بحقد إنّ العرب قد فقدوا احترامهم لأنفسهم فلجأوا إلى القوى الغيبية والعنف وكراهية الغرب وأمريكا والحداثة، وهم منذ استقلالهم لم ينتجوا سوى الحروب، وفشلوا في التنمية ••• وهم خارج الحضارة والحداثة وقيم الديمقراطية وكالات•

هل نحن كذلك حقاً ؟ وهل سنبقى متمترسين خلف التابو المقدس ولغته لا لشيء إلاّ لأنه مقدّس في لا وعينا أو وعينا سيان ثم وهذا سؤال آخر: ألا يمكن أنْ يكون هذا المقدس نفسه قوة دافعة للتغيير الإيجابي، قوة دافعة للتحرك للأمام بدلاً من النكوص على الأعقاب ••• وهل هناك من حاول؟؟

لنعد للتاريخ •• تاريخ اللغة وتاريخ الكتابة الإبداعية•

facebook.com/the.Boooks

إفساد اللغة

يحدّثنا التاريخ عن مشاريع عديدة أحدثت ثورات كبرى في مسيرة التطور الإبداعي وقد جوبهت كل هذه المشاريع في بداياتها بالرفض والقمع، وذلك لأنّ كل مشروع جديد تأسيس ويحمل في ثناياه بذور الثورة على السائد الراسخ والمستقر، وكل مبدع حقيقي مؤسس وثائر، وكل مؤسس يواجه بالرفض من قبل الآخرين في بدايات طرحه لمشروعه الإبداعي- التطوري.

وهذا شيء طبيعي وبالذات في ظل العقلية العربية السلفية التي تعتبر أنّ الخلق لا يكون إلاّ على مثال سابق لا ينبغي القياس إلاّ عليه، ويستمر هذا الرفض حتى يثبت المؤسس جذوره عميقاً فيتبعه الآخرون.

وقد خضعت اللغة العربية لعملية تثوير كبرى مع مجيء القرآن الكريم وعصر النبوة، حيث قام المعلم الأكبر بامتصاص واحتواء كل اللهجات التي كانت سائدة في الجزيرة العربية وأطرافها من هذلية وبكرية وتميمية وغيرها ثم أخضعها لعملية صهر وبوتقة نتجت عنها اللغة العربية التي

facebook.com/the.Boooks

حملها النص • ثم استقرت اللغة بعد ذلك على أيدي اللغويين وأهل الكلام الذين قاموا بتقنينها وتأطيرها وإعطائها شكلها الثابت المستقر•

وقد اكتسب هذا الشكل قوة ثبات كبرى هائلة غدا معها من الصعب تغييرها، وذلك لأنها أصبحت لغة مقدسة حاملة لنص مقدس لا ينبغي ولا يجوز اللعب به أو محاولة تغييره، ومن هنا كانت الخطورة، فكل من حاول زحزحة هذا الإرث عن مكانه تم نعته بنعوت لا حد لها، تهم مثل الزندقة والابتداع وليس انتهاء بالتكفير، ولعل أكثر النعوت التي كانت تطلق على من يحاول التغيير كان نعت المفسد والمفسدين!!

ولقد مرّ على هذه اللغة منذ تقنينها ثلاثة مفسدين كبار فعلوا بها الأعاجيب ولم يهابوا، وقد استطاع هؤلاء الثلاثة أن يغيّروا من الطبيعة الراكدة للغة، استطاعوا تثويرها من الداخل، ولنا أنْ نتخيل مقدار وحجم الهجوم الذي تعرضوا له في محاولتهم تلك للعب بما هو مقدس قداسة النص نفسه، فقد اتهموا جميعاً بالإفساد والزندقة والخروج على الملّة، ودفعوا ثمناً باهظاً سواء كان معنوياً أو جسدياً نتيجة فعلتهم النكراء تلك••

facebook.com/the.Boooks

المفسد الأول

إنّ اللغة هي طينة الخلاق كما يقول المفسد الثالث، وهذا يعني أنّ اللغة هي المادة الأساسية بيد الخالق ليبدع من هذه المادة شيئاً جديداً ومختلفاً، وبما أنّ هذه الطينة مادة أولى فهي أساس عملية الخلق، ومن هنا تأتي أهميتها الكبرى، ولكن هذه الطينة ليست بشيء ذي بال من غير الخلاق / المبدع الذي يعيد صياغتها ليعطيها الشكل الذي يرتئيه•

ربما كانت هذه هي الفكرة التي كانت تدور في ذهن أبي تمام وهو يغزل مشروعه الإبداعي، فحين جاء أبو تمام إلى الشعر العربي أحدث ثورة كبرى على صعيد اللغة الشعرية وشكل هذه اللغة، وما زالت أصداء هذه الثورة تتردد حتى أيامنا هذه، فقد استخدم الكلمات بطريقة أصبحت معها توحي بأكثر من معنى، لأنه أفرغها من معناها المألوف، وخلصها من الحتمية وأسلمها للاحتمال، كما وابتكر معاني جديدة وصيغاً غير مألوفة وسياقاً غريباً الثابت والمتحول / صدمة الحداثة ص 91•

ومن هنا فقد قوبل بالرفض والاستنكار من قبل نقّاد عصره وشعراء زمانه فهو برأيهم أفسد الشعر، وقال بضد ما نطقت به العرب، ولئن كان ما يقوله شعراً فكلام العرب باطل المصدر السابق ص20.

وفي الحقيقة فإنّ الرفض الذي جوبه به أبو تمام و الإفساد الذي أحدثه بمشروعه الإبداعي المختلف مفهوم في سياقه، حيث كانت الأذن العربية – وما زالت – قد اعتادت وترسخت بها العادة على النسج على مثال القديم، والنظم على وزنه وطرقه، وأصبح قول عنترة هل غادر الشعراء من متردم هو المثل الأعلى والدليل الأكبر على أنّ كل المعاني قد قيلت، وأن التجويد والتجديد إنما يكون بتنويعات على نفس الوتر، ومن هنا أصبح ما جاء به أبو تمام من أشكال ومعان مختلفة إفساداً، وكلامه ليس من كلام العرب.

ولا يحدثنا التاريخ عن شاعر عربي قديم جوبه بالرفض والنقد والهجاء المر مثل ما جوبه به أبو تمام، ويحدد الدكتور إحسان عباس في كتابه القيّم تاريخ النقد الأدبي عند العرب الوجوه التي كان يؤتى من قبلها أبو تمام حيث يقول كان الجانب الأكبر من جهد نقاد القرن الثالث في مجالسهم وفيما كتبوه يميل إلى إبراز عيوبه، وقد تحددت تلك العيوب في سرقته لبعض المعاني، وفي تعسفه للاستعارة، وبعض وجوه البديع الأخرى، وفي

الابتداءات البشعة، وفي استعماله لألفاظ وحشية غريبة، وفي استغلاق بعض معانيه على الفهم، وهذه هي أهم المظاهر التي تناولها نقاد القرن الرابع ص148•

وهذا الآمدي في كتابه الموازنة يشن هجوماً شرساً على أبي تمام قائلاً إنّ أبا تمام شديد التكلف، صاحب صنعة، ويستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه شعر الأوائل، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة

وهو قد فارق عمود الشعر العربي • المصدر السابق ص159

فإذا حلّلنا النّص السابق فهمنا أسباب حنق السلفيين على أبي تمام وهجومهم الكاسح عليه، فشعره صعب على الفهم لما فيه من صور ومعان جديدة تختلف عما اعتادوا عليه في الشعر، وهو قد فارق عمود الشعر العربي باستخدامه للبديع والاستعارة وإتيانه بالمعاني الغريبة (هي غريبة لأنها جديدة) وذلك على عكس ما تعارف عليه السلف الصالح•

ويذهب الآمدي إلى أبعد من ذلك حين ينفي صفة الشاعر عن أبي تمام بقوله قد جئت بحكمة وفلسفة، ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيماً أو سميناك فيلسوفاً، ولكن لا نسميك شاعراً، ولا ندعوك بليغاً،

facebook.com/the.Boooks

لأنّ طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم المصدر السابق ص162.

ولقد اشتدّ الجدل في ذاك العهد واتخذ صيغا متعددة، فكان أنْ أخذ قادحو أبي تمام بعقد المقارنات بينه وبين شاعر آخر هو البحتري الذي فضّلوه وجودوه وعدوه إماماً للشعر، ذلك لأن البحتري أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المألوف، وكان يتجنب التعقيد المصدر السابق ص159.

وفي الحقيقة فإنّ تعقيد شعر أبي تمام بالنسبة إليهم، واستغلاقه على الفهم، وصعوبته على الإدراك، وصوره الذهنية التي تحتاج إلى إعمال الفكر لإدراكها كانت إحدى أهم النقاط التي هوجم بها حتى لقد صاح ذات يوم صيحته المشهورة يا هذا لم لا تفهم ما يقال

لقد صدم أبو تمام الأذن العربية والذوق العربي الذي اعتاد على سلاسة المعنى وقربه من الفهم والإيقاع الموسيقي من خلال استخدامه المختلف للغة...اللغة التي هي طينة الخلاق .ولقد كان هذا بحد ذاته ثورة حقيقية يمكن تحديد أهم ملامحها فيما يلي:

facebook.com/the.Boooks

(1اللعب بالكلمات باستخدام ضروب البديع المختلفة بحيث أصبحت الكلمة عنده ليست مجردة ذات معنى واضح الدلالة، بل أصبحت الكلمة تحتمل أكثر من معنى الثابت ص191.

انظر مثلاً قوله في مدح المعتصم:

مطر يذوب الصحو منه وبعده

صحـو يكاد من الغضارة يمطر

غيثان فالأنواء غيـث ظاهـر

لك وجهه والصحو غيث مضمر

ولنلاحظ هنا استخدامه لكلمتي المطر والصحو، فالمطر كما يقول كمال أبو ديب في تعليقه على هذين البيتين من الشفافية والصفاء والنعومة، أي من الصحاوة بحيث إنه يصبح مطراً يذوب منه الصحو، والصحو الذي يأتي بعده من الطراوة والرقة والعذوبة أي من المائية بحيث إنه يكاد من الغضارة يمطر جدلية الخفاء والتجلي ص 236.

(2الابتعاد عن المباشرة في قول المعنى من خلال ابتكار صور ومعان جديدة مختلفة عن السائد قبله، وهو الشيء الذي دعا لاتهامه بالصعوبة والغموض والتعقيد، انظر مثلاً قوله في نفس القصيدة.

facebook.com/the.Boooks

وندى إذا ادهنـت لمم الثـرى

خلت السحاب أتـاه وهو مغدر

فنحن هنا أمام صورة ذهنية غريبة وغير مباشرة، صعبة على الفهم، ولا تعطي مغاليقها للقارئ من الوهلة الأولى، بل تحثّ عقله وفكره (تتعبه) حتى يصل إلى مكنوناتها، وهو غير ما اعتاد عليه العربي في لغته وشعراء لغته، ومن هنا كان اتهامه بالصعوبة والغموض والتعقيد، تماما كما سنجد هذه التهمة نفسها جاهزة وتتكرر في اتهام المفسدين الثاني والثالث.

المفسد الثاني

ربما كان المتصوفة عموماً وابن عربي خصوصاً الثورة الثانية التي طالت اللغة العربية معنى ومفهوماً وكلمات، صحيح أنّ اللغة لم تكن همهم الأساسي، ولكنها كانت أداتهم الرئيسة للتعبير عن رؤيتهم الجديدة للعالم والكون وعلاقة كل ذلك بالذات الإلهية، وعلاقة هذه الذات بالإنسان.

جاء المتصوفة برؤية جديدة لله والكون والإنسان، وكانت هذه الرؤية تخالف ما هو سائد ومترسخ في العقل العربي وللنظام السياسي السائد، كانت رؤية ثورية في عمقها، تدعو للتغيير، ولكن عنف النظام السائد جعل أصحاب هذه الرؤية يلجـأون إلى التقية في الدعوة إلى مذهبهم، وقد رسخت محنة الحلاج من هذه التقية إلى حد كبير.

ولكن كل فكرة بحاجة أنْ تصل للناس كي تصبح مؤثرة وفاعلة، وحتى تصل لا بد من الكلام، وبما أنّ الكلام المباشر ممنوع كان لا بد من ابتكار لغة أخرى غير مباشرة وغير مفهومة للوهلة الأولى لتحمل المعنى والفكرة التي تقف خلف المعنى.

facebook.com/the.Boooks

هذا سبب، أما السبب الثاني فهو جوهر الفكرة ذاتها، وطبيعة هذه الفكرة التي تحدد الصلات بين الواجد والموجود، وهي صلات تبادلية وعلاقات جذب وحلول ضمن مبد أ الوحدة الشمولية للوجود.

وفي الحقيقية فإنّ السببين يؤديان إلى بعضهما البعض، فمبدأ وحدة الوجود مرفوض في الفكر الإسلامي السائد لغاية الآن، وهذا المبدأ هو مرتكز أساسي من مرتكزات الفكر الصوفي، ولا يغرنا إنكار المتصوفة الظاهري لذلك، فهذا الإنكار ليس أكثر من تقية، وعلى أية حال ليس هذا هو موضوعنا، وإنما اللغة عند المتصوفة هي الموضوع.

جاء المتصوفة برؤية جديدة للعالم وخالق هذا العالم، وبما أنّ هذه الرؤية جديدة ومختلفة فقد اصطدمت بحاجز اللغة السائدة التي لم تكن بقادرة على استيعاب ما يريدون قوله فصاح صائحهم ما أوسع الفكرة وما أضيق العبارة ومن هنا بدأ البحث عن لغة أخرى، وكلمات أخرى وطريقة أخرى في القول، وقد ابتدأت هذه اللغة مع النفري وابن الفارض والحلاج وغيرهم من المتصوفة الأوائل، وبلغت كمالها وأوجها مع ابن عربي الذي فتح آفاقاً وطرق مسالك لم يكن من الممكن تخيلها إلاّ بخيال كالذي كان لدى ابن عربي، خيال خلاق حقيقي لا يعرف حداً ولا مدى، ومن يقرأ الفتوحات سيعرف ما أعنيه عياناً.

facebook.com/the.Boooks

ابن عربي ولغة الرؤى

لكي تفهم اللغة المبتكـرة التـي جاء بها ابن عربي عليك أنْ تعرف أولا أنّ ابن عربي هو رجل المشاهـد فـي تاريخ الفكر الصوفي، ينتقل من مشهد إلى مشهد، ومن تجلي إلى تجلي، ومن عالم إلى عالـم، ومـن أرض إلى أخرى ابن عربي ومولد لغة جديدة ص26•

وقد عاش ابن عربي الحياة وكأنه يعيش في رؤيا مستمرة ومتواصلة لا يقطعها شيء، عاش حياة رؤى تبدأ من ذاته وتشع في كل اتجاه السابق ص62•

وربما كانت هذه هي نقطة الاختلاف الحقيقية بين ابن عربي ومن سبقه من المتصوفة، فإذا كان النفري والبسطامي من أرباب المواقف كما يقول ابن عربي نفسه في وصفهما، فإن ابن عربي من أرباب المشاهد، مشاهد تتوالى فلا يقف مع مشهد دون مشهد ولا مع حال دون حال المصدر السابق ص26•

وقد كانت نتيجة الحياة المشهدية التي عاشها ابن عربي أنْ ابتكر لغة أخرى مختلفة مبنية على المشهد والصورة والحركة، لغة مشهدية باحتراف وهذه هي أول سمات لغة ابن عربي•

السمة الأخرى الفارقة لهذه اللغة كان استعماله للرمز والإشارة للوصول إلى المعنى الكامن خلف ظاهرية الأشياء، وذلك لأنه ليس ثمّة إلاّ الله، وما البشر والكائنات والأشياء سوى أشباح خالية على عروشها خاوية الفتوحات، فلا وجود إلاّ للواجد وما تبقى ليس أكثر من عدم ظاهر للعيان، ليس سوى أوهام تعمي أصحابها الغشاوة فتلتبس عليهم الأمور ولا أمور، حتى إذا جاءت الساعة وانزاح عن العين ما يغشاها فانتبهت، إذ لا بد أنْ تنتبه فبصرك ذاك اليوم حديد، عرفت أنْ ليس ثمة إلاّ الواحد، وكل ما تبقى ظلاله.

وحيث إنّ كل هذا كان من المحرم التصريح به والإفصاح عن مكنونه وجوهره، وإلا لعد قائله ملحداً، زنديقاً، خارجاً عن الملة، فقد كان لا بدّ من التلميح لا التصريح، كان لا بدّ من استعمال تقنية الإشارة، ولنتصور صعوبة أنْ ترسم مشهداً بلغة الرمز والإشارة، وكان لا بد أنْ تكون هذه اللغة متطورة حركياً، غنية بالطّاقات الإيحائية لتؤثر في القارئ، وتنقله من طور إلى آخر، ومن لغة رتيبة إلى أخرى حية،محلقة، حيث الكلمات ليست كالكلمات، وما يقف خلف الكلمات أهم وأخطر ... بل ثورة شاملة.

لكي يستطيع المبدع التّعبير عن كل ذلك فلا بد له أنْ يطور في اللغة، أنْ يضيف إليها ما ليس فيها، أنْ يكتشف ••أن يبحر في عمق الظلمة ويعانق عتم المجهول، أنْ يمشي في طرق لم يرتدها غيره، طرق وعرة، وأن يعود منهكاً، نحيلاً، شاحباً، ولكن محملاً بالوهج ولذّة الاكتشاف والريادة•

كان أنْ جاء ابن عربي بمفهوم الإضافة للغة العربية فكل عبارة هي إشارة إلى علاقة يتلمس القارئ معناها في معرفته بالمضاف والمضاف إليه ابن عربي مولد لغة جديدة، ص 68 • والعالم في نظر ابن عربي كان عالم علاقات ونسب وإضافات، وعالم صفات وأحوال وحقائق مفردة تتركب وتحمل معانيها التي تسترها العبارة وتفضحها الإشارة المصدر السابق ص 68•

والإضافة لغة هي عبـارة تتكـون من لفظين أحدهما يضاف للآخر، أي اسم يضاف إلى اسم مثل نهر القران وبحر الأرواح ••• الخ•

وفي الحقيقة فإن ابتداع صيغة الإضافة هو شيء يتماشى تماما مع فكرة ابن عربي الأساسية وهي أنه لا موجود إلاّ الواحد وما تبقى ظلال تضاف إليه، فليس ثمة إلاّ الله، حقيقة الحقائق كلها وعين العين في كل عين •

يمكننا تلخيص ما سبق في أنّ ابن عربي كان يكتب مشهداً ترسمه رؤاه

facebook.com/the.Boooks

المتصلة، فلغته لغة مشهدية يكتبها بالإشارة ليفضح من خلفها المعنى الذي تستره العبارة، مستخدماً صيغ الإضافة إلى حدودها القصوى.

المفسد الثالث

ربما لم ينل شاعر من النقد والتجريح، وحتى السبّ والشتم والاتهام في عصرنا الحديث مثل ما ناله أدونيس، ومن العجيب أنّ التهم التي كانت تطلق على أبي تمام في زمانه هي نفس التهم التي تطلق على أدونيس في عصرنا الحالي، فهو مفسد، منتحل، شعره لا يشبه الشعر، غادر طريقة النظم العربي، صعب على الفهم، صوره غريبة، خارج على الملة وقواعد العروبة، أفسد خلفه أجيالاً من الشعراء الشبان، وإلى غير ذلـك من التهم التي تلقـى جزافاً، وربما كـان هذا هو قدر كل مؤسس، فكل تأسيس خطر، وكل جديد رعب في العقل العربي، ولهذا يكون المؤسس مفسداً، ملعونـاً، ووحيـداً جـداً.

أسكن في هذه الكلمات الشريرة

وأعيش ووجهي رفيق لوجهي

ووجهي طريقي...

اللغة الأدونيسية

facebook.com/the.Boooks

نشأ أدونيس في ظل بيئة متدينة، غنية بالفكر الباطني والصوفي على وجه الخصوص، فقد كان والده متصوفاً وعلى اطلاع واسع في مجالات الشعر والتصوف وطرق الباطنية والإسماعيلية، كما كان شاعراً جيداً كما يذكر وفيق خنسة في كتابه دراسات في الشعر السوري الحديث ص30.

ولهذا نجد لغة أدونيس تتأثر تأثراً كبيراً بلغة المتصوفة فهو يتقمص لغة نفرية متفوقة حركياً، لغة مشحونة بالإيحاء والطاقة، لغة ترتكز على نشر وهج وحالة أكثر ممّا تضع أيدينا على واقع محدد مصاغ، إنها تترك بيننا مسافة، وترشح صوراً وحالات لا حد لها المصدر السابق ص35.

دعا أدونيس إلى تفجير اللغة، ويعبر أدونيس نفسه عن مفهومه للغة في مقابلة تلفزيونية أجريت معه مؤخراً وبثتها قناة أبو ظبي الفضائية قائلا إنّ تفجير اللغة يعني إيجاد علاقات جديدة ما بين الكلمة والكلمة، والكلمة والشيء

وهذه العلاقات الجديدة ترى أنّ المسالة ليست أنْ يكرر لغة معروفة، بل المسألة أنْ يكتشف لغة غير معروفة الثابت والمتحول، ص312.

والمبدع في سبيله لاكتشاف هذه اللغة يكافح ويعاني وهو كفاح يجعل اللغة باستمرار ملغومة، ومحولة عن عاداتها المصدر السابق ص315.

facebook.com/the.Boooks

بهذه المعاني والأفكار جاء أدونيس إلى الشعر العربي الحديث، وبلغته المتفجرة فجّر هذا الشعر، حوله عن مسـاره الرتيب، وأعطاه مساراً آخر، ومعنى آخر، وكانت اللغة هي أداته، ولكنها ليست اللغة التي نعرفها، بل كانت لغة أخرى لا تكاد تشبهها اللغة•

مسافر تركت وجهي على

زجاج قنديلي

خريطتي أرض بلا خالق

والرفض إنجيلي

إنّ عالم أدونيس اللغوي يرفض التّحديد المطلق والتّشكّل التام، ويظل إمكانية تهجس بطاقاتها الكامنة والمتجددة، فاللغة تفتح الطريق ولكنها لا تنهيه، حيث إنّ الطريق نفسها تحمل في أحشائها طرقاً متعددة (links) لا حصر لها، والكلمة نفسها عند أدونيس حية، وقائمة بذاتها، وبعلاقتها بالكلمة التي تليها، وبالأشياء التي تحيط بها•

ومن هنا تمّ اتهام أدونيس بالإبهام والغموض والصعوبة، وهم محقون في ذلك نظرياً، ذلك لأنهم لم يعتادوا على مثل هذه الطريقة في استخدام الكلمات، كانت الكلمات محددة بمعان ووظائف واضحة، وجاء أدونيس

facebook.com/the.Boooks

فاغتال المعنى الواحد للكلمة، حررها، وأعطاها الإمكانية لتحمل أكثر من معنى ومفهوم ووظيفة•

المرايا تصالح بين الظهيرة والليل

خلف المرايا

جسد يفتح الطريق

لأقاليمه الجديدة

جسد يبدأ الحريق

في ركام العصور

ماحياً نجمة الطريق

بين إيقاعه والقصيدة

عابراً آخر الجسور

وقتلت المرايا

ومزجت سراويلها النرجسية

بالشموس

facebook.com/the.Boooks

ابتكرت المرايا

هاجساً يحضن الشموس

وأبعادها الكوكبية

تتكرر في هذا النص أكثر من مفردة، وفي الحقيقة إنّ تكرار المفردات هو أحد علامات أدونيس الفارقة، وهذا التكرار مقصود بذاته، لا عن عجز لغوي، حيث نلاحظ تكرر مفردات المرايا، الجسد والطريق والمفردة الأكثر تكرراً هي المرايا، ويتحرك النص كله كما يذكر كمال أبو ديب في كتابه جدلية الخفاء والتجلي ضمن ثلاث حركات دلالية وتركيبية وصوتية وهي المرايا، والجسد والأنا ص462•

فإذا جئنا إلى حركة مفردة المرايا الأكثر تكرراً فإننا نجد أنّ المرآة هي جسد مادي يعكس صور الأشياء التي تقف أمامها، وهذا هو المفهوم العام والمعروف للمرآة، ولكن أدونيس لا يستخدمها بهذا المعنى، فالجسد يقع خلف المرآة، بعيدا عن عينها العاكسة، ورافضا أنْ يكون نسخة معادة حتى عن نفسه، وهذا الجسد الرافض للارتهان ليس سوى ذات الشاعر نفسه، وهو جسد/ ذات يشعل النيران، ويغتال المرايا (التكرار) ثم يعيد ابتكار المرايا كما يريدها هو، يعيد ابتكار اللغة كهاجس قادر على احتضان نور قلب الشاعر بأبعاده اللانهائية•

facebook.com/the.Boooks

نلاحظ هنا كيف تتغير الكلمات ودلالاتها تصبح الكلمة ذاتها غير ذاتها،

وهذا هو الخلق والإبداع الذي لا على مثال.

facebook.com/the.Boooks

اللغة الجديدة... لغة الرواية الرقمية

ذكرنا فيما سبق أنّ اللغة ضرورة اجتماعية، خلقها الاجتماع الإنساني ثم كيفها وطورها وفقاً لحاجاته الأساسية والجمالية، وأنّ ما جاء من تقنين وتأطير للغة لم يأت إلاّ في سياقه التاريخي والاجتماعي، وأنّ هذه الأُطر والقوانين إذا ما تعارضت مع مسيرة التطور الاجتماعي وحاجات الإنسان للتواصل فغالباً ما كان يتم كسر هذه الأطر، وابتداع أطر جديدة للتعبير، وهذا يعني ببساطة أنّ اللغة كائن متحرك، متحول، لا تبقى على شكل، ولا تثبت في إطار، وإذا ما نظرنا في لغة العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، وقارناها بلغة العرب اليوم لوجدنا الفرق شاسعاً مع أنّ اللغة هي ذاتها بثمانية وعشرين حرفاً في الحالين.

وضربنا مثلاً ثلاثة من المفسدين الكبار الذين وعوا وأدركوا أكثر من غيرهم الحاجة الاجتماعية لتطوير اللغة والثورة على قيودها، ففعلوا ولم يهابوا، لا ولا أثنتهم الصعاب، وتشكيك المشككين وطعن ذوي الإرب من الحساد والحاقدين، فجاء الأول بضروب البديع، واكتشف الثاني الإمكانيات الهائلة في علاقة المضاف بالمضاف إليه، والثالث ميكانيزم الكلمات وعلاقاتها.

facebook.com/the.Boooks

ونحن الآن ندخل في عصر جديد هو العصر الرقمي، وفي مجتمع جديد هو المجتمع الرقمي، وفي هذا العصر كما في كل عصر، حاجات جديدة، ومفردات جديدة، ومصطلحات جديدة، وبالتالي لغة جديدة ‥ هذه هي سنة الحياة وصيرورتها التاريخية التي لا بد هي آتية لا ريب فيها•

وليس يهمنا في هذا السياق اللغة بذاتها، وإنما اللغة في رواية الواقعية الرقمية التي ألقينا عليها الضوء في الفصلين السابقين، فقد كانت اللغة عند الروائي القديم تتكون من كلمات، كانت الكلمة هي أداته الرئيسة، وكانت الكلمة قبل الكلام صوت ثم رسم فإشارة•

جاء اللغويون فقننوا اللغة وحولوها إلى قواعد وأطر وأساليب لا يجوز الخروج عليها، وجاء الروائي فاستخدم الكلمات وحولها إلى كتابة بدلا من قول•

أما آن للكتابة أنْ تغادر قيودها، أما آن للغة أنْ تتمرد على كلماتها، أما آن للروائي أنْ يفجر لغته ليقودها لمتاهة أخرى ‥مغامرة أخرى؟؟؟

حين توصل ابن عربي للبعد الآخر للوجود، اكتشف أنّ اللغة الموجودة لن تستطيع احتواءه، فاخترع لغة أخرى من كلمات ورسوم ودوائر ليعبر عن جد وجده بالواجد، وجد وجد الواجد به •ونحن الآن ندخل في بعد آخر، في عالم آخر، وفي رواية أخرى، وهذه الرواية تحتاج إلى لغة

أخرى، مختلفة، غير اللغة النمطية، المعروفة، الميتة، هذه اللغة التي علينا أنْ ننقضها تماما، أنْ نفسدها، تماما كما أفسد أبو تمام الشعر القديم، وتماماً كما أفسد أدونيس الشعر الحديث، ولعل أهم سمات هذه اللغة الجديدة – وأنا الآن وحيد ••• غريب •••أتلمس خطاي في العتمة المعتمة التي قبلها كنت غيري وبعدها أكون مغايري-:-

أولاً) في لغة رواية الواقعية الرقمية لن تكون الكلمة سوى جزء من كل، فبالإضافة إلى الكلمات يجب أنْ نكتب بالصورة والصوت والمشهد السينمائي والحركة•

ثانياً) الكلمات نفسها يجب أنْ ترسم مشاهد ذهنية ومادية متحركة، أي أنّ الكلمة يجب أنْ تعود لأصلها في أنْ ترسم وتصور، وبما أنّ الرواية أحداث تحدث في زمان ضمن مكان، وهذه الأحداث قد تكون مادية ملموسة أو ذهنية متخيلة فعلى الكلمات أنْ تمشهد هذه الأحداث بشقيها•

ثالثاً) على اللغـة أنّ تكون سريعـة، مباغتة، فالزمان ثابت = 1، والمكان نهاية تقترب من الصفر ولا تساويه، ومن هنا فلا مجال للإطالة والتأني، فحجم الرّواية يجب أنْ لا يتجاوز المائة صفحة على أبعد تقدير، ولن يكون هناك مجال لاستخدام كلمات تتكون من أكثر من أربعة أو خمسة

حروف على الأكثر، أمّا الكلمات الأطول فيفضل أنْ يتم استبدالها بكلمات أقصر تؤدي نفس المعنى إنْ أمكن.

رابعاً) الجملة في اللغة الجديدة يجب أنْ تكون مختصرة وسريعة، لا تزيد عن ثلاث أو أربع كلمات على الأكثر.

خامساً) إنّ ما سبق يعني أنّ على الروائي نفسه أنْ يتغير، فلم يعد كافياً أنْ يمسك الرّوائي بقلمه ليخط الكلمات على الورق، فالكلمة لم تعد أداته الوحيدة، على الروائي أنْ يكون شمولياً بكل معنى الكلمة، عليه أنْ يكون مبرمجاً أولاً، وعلى إلمام واسع بالكمبيوتر ولغة البرمجة، عليه أنْ يتقن لغة الـ HTML على أقل تقدير، كما عليه أنْ يعرف فنّ الإخراج السينمائي، وفنّ كتابة السيناريو والمسرح، عاديك عن فن المحاكاة.

لقد حاولت شيئاً من كل ما سبق في روايتي ظلال الواحد، ففي نسختها الرقمية المنشورة على الإنترنت في الموقع www.Sanajlehshadows.8k.com كان هناك مشاهد حركية، ومؤثرات صوتية، وصور، ومقاطع من أفلام سينمائية، إلاّ أنّ ظلال الواحد ليست سوى البداية فأدواتي ما زالت بحاجة لتطوير وعمل كثير.

سادساً) إنّ تغيّر اللغة يعني أنْ تتغيّر الرّواية، فلن تعود الرّواية مجرد كتاب، ولعل السؤال الآخر، السؤال المخفي، والذي يطرح نفسه بقوة هو :أي كتاب سيتسع لكل هذا؟؟؟

وهل الكتاب الورقي قادر على ذلك؟؟

الإجابة هي لا ببساطة، وسأناقش هذا الموضوع في الفصل التالي.

المراجع

*كتاب الخصائص/ ابن جني، أبو الفتح عثمان/ دار الكتب/ القاهرة/ 2591.

*اللغة/ فندريس/ ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص/ مصر/ 0591.

*تاريخ النقد الأدبي عند العرب/ نقد الشعر/ د .إحسان عباس/ دار الشروق/ عمان/ 6891.

*الثابت والمتحول/ صدمة الحداثة/ أدونيس/ دار العودة/ بيروت/ ط4/ 3891.

*ابن عربي ومولد لغة جديدة/ د .سعاد الحكيم/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر/ بيروت/ ط1/ 1991.

*جدلية الخفاء والتجلي/ كمال أبو ديب/ دار العلم للملايين بيروت/ ط1/ 9791.

*دراسات في الشعر السوري الحديث/ وفيق خنسة/ دار الحقائق / ط

facebook.com/the.Boooks

الفصل الرابع

من الحجر إلى الشجر إلى الكتاب الإلكتروني

-في البدء كانت الكلمة

-الكتاب الإلكتروني

من الحجر إلى الشجر إلى الكتاب الإلكتروني

إن سؤال رواية الواقعيّة الرقمية بصيغتها الناشئة ليس سؤالاً سهلاً بالتأكيد، والسؤال الذي ختمنا به الفصل السابق فيه من التحدي ما فيه، ولكن الواقع الجديد يفرض علينا الإجابة، وستبدو الإجابة للكثيرين شاذة وخارجة عن العادي والمألوف، بل إنّ السؤال نفسه قد يبدو مستهجنا وحتى مرفوضاً من قبل الكثيرين ممن اعتادوا على النمطية في كل شيء حتى في الفعل الإبداعي؟

لكن هذا لا يعني شيئاً لنا، ذلك أنّ الكتابة هي مغامرة وإبحار في المجهول، وكما في كل مغامرة، هناك الخطورة، وهناك رعب الاحتمال وغموض الطريق ووعورته لكن فيها أيضا تلك اللحظات من المتعة النادرة التي لا تدانيها متعة، متعة الاكتشاف ولذة الريادة ومعانقة العتمة فإذا بها بين يديك أنثى فاتنة الجمال، من لا يعتقد أنّ الكتابة متعة فعليه أنْ يتوقف عن الكتابة، ومن لا يعتقد أنّ الإبداع دخول في المجهول عليه أنْ يتوقف عن الكتابة، ومن لا يعتقد أنّ الكتابة وقوف على حد النار وسير

فوق سراط حاد تحته الهاوية وفوقه قمة الجبل ووهم الخلق عليه أيضا أنْ يتوقف عن الكتابة•

إن العالم كله والكون بما فيه ليس سوى وهم كبير •••ترى ماذا نساوي نحن من غير أوهامنا وأحلامنا وطموحاتنا، ماذا كان سيكون الكائن من غير تلك الرغبة المتوهجة في الحلم وفي القدرة عليه، فإذا صار الوهم حقيقة والحلم كوناً والإنسان الواقعي افتراضاً قائماً في دنيا الأزرق السوبراني، فإنّ كل شيء ممكن ولا وجود للمستحيل ذلك أنّ الخيال لم يعد خيالاً بل صار معرفة، وكما قال شيخي ابن عربي: ليس إلاّ الخيال، وحين يصبح حدّ الإنسان خياله فهذا يعني أنّ لا حد له•

لقد اغتلنا الخيال السلفي لصالح المعرفة، وما عاد لدينا سوى هذا الخيال المعرفي الممتد إلى المالانهاية•• إلى المطلق الكلي•

وعودة إلى السؤال: أي كتاب سيتسع لرواية الواقعية الرقمية؟؟ وهل الكتاب الورقي قادر على ذلك؟؟

إنّ الإجابة عن هذا السؤال- كما في الإجابة على الأسئلة السابقة -تقتضي العودة إلى التاريخ •• تاريخ الكتابة وتاريخ الكتاب •• ذلك أنّ الحاضر ابن الماضي وأب للمستقبل، فلا شيء يأتي صدفة، وإنما سلسلة تنحكم

لقاعدة السبب والمسبب والنتيجة، الخيال الخالق خيال منظم رغم

فوضويته السطحية ...إنها عبقرية الفوضى.

في البدء كانت الكلمة

مع التّطور التاريخي لحياة الإنسان وتداخل المجتمعات مع بعضها(1) البعض وترابطها، وجد الإنسان نفسه غير قادر على التفاهم مع الغير من المجتمعات الأخرى، ولذلك بذل قصارى جهده في إيجاد الوسيلة التي يستطيع عن طريقها التواصل و التفاهم مع تلك المجتمعات، ولذلك هداه التفكير إلى اختراع الكتابة التي من خلالها يستطيع أيضا الاحتفاظ بنتاجه الفكري وتراثه الثقافي والعلمي من الضياع والاندثار • وقد مرّت الكتابة بعدّة مراحل زمنية قبل أنْ تبلغ القبول والسهولة في الاستخدام، فقد بدأت على شكل صور تدل على معان ومدلولات ملموسة في الحياة اليومية، وقد تمّ العثور على بعض النقوش والصور عمرها 35000 سنة في كهوف لاسكو في فرنسا و التميرا في إسبانيا، ولأن لغة هؤلاء القوم كانت بدائية، فلم تكن هناك حاجة لتطوير كتابة خاصة بهم •كما تمّ العثور على الكثير من النقوش والصور والرموز الدالة على معاني معينة في منطقة الهلال الخصيب وبالتحديد مع الحضارة السومرية وذلك قبل حوالي 5500 سنة • وقد دلّت هذه النقوش والرموز على تطور الكتابة عندهم حيث عرفت كتابتهم بالمسمارية أو الاسفينية • وقد كانت الكتابة

في بداية عهدها عبارة عن صور ترسم على الحجر وتوحي تماما بما رسم فيها • وفي مرحلة أكثر تقدما تطورت إلى صور رمزية توحي بمعنى معين • وتمّ العثور على حوالي 2000 صورة رمزية، ومما لاشكّ فيه أنّ هذه الرموز كانت صعبة الفهم لعامة الناس، فسارعوا إلى استعمال رموز توحي بأصوات معينة، وهذه الرموز الصوتية كانت خطوة أساسية إلى الأمام في تطوير الكتابة • وفي مرحلة متقدمة من التاريخ البشري جاء الفينيقيون وأصلهم من الجزيرة العربية- وهم سكان السواحل الشرقية لحوض البحر المتوسط وذلك حوالي 1100 ق•م وابتكروا الكتابة الفينيقية مستعينين بذلك بالكتابة السومرية والمصرية القديمة وطوروها، وبذلك ابتكروا الأبجدية الفينيقية والتي هي عبارة عن حروف وكل حرف يمثل صوتاً معيناً، وصارت حروفهم أو رموزهم واضحة سهلة للكتابة • وهذه الحروف كانت أساساً للكتابة في الشرق كما في الغرب فمن الأبجدية الفينيقية تطورت كافة أبجديات العالم • وجاء بعد ذلك الإغريق وطوروا أبجديتهم التي نقلوها عن الفينيقيين وذلك حوالي 304 ق•م حيث صار لديهم أبجدية خاصة بهم والتي أصبحت أساسا للأبجدية في الغرب • ثم جاء الرومان فأخذوا الأبجدية الإغريقية، فأبقوا على بعض الأحرف كما هي (حوالي 21 حرفاً) وعدلوا سبعة أحرف، أعادوا استعمال ثلاثة أحرف كان قد بطل استعمالها • وقد سادت

facebook.com/the.Boooks

الأبجدية الرومانية واللغة اللاتينية بلاد أوربا بعد سيطرة الإمبراطورية الرومانية على بلاد الغرب •وهذه الأبجدية مازالت تستعمل حتى يومنا هذا بعد إجراء بعض تعديلات عليها حيث اشتقت منها جميع اللغات الأوروبية كما هو معلوم • أما الكتابة والأبجدية العربية فهي في الأصل مشتقة عن الكتابة السامية التي اشتقت بدورها عن الأبجدية الفينيقية التي تألفت أصلاً من 22 حرفاً هجائياً ووصلت إلى العرب عن طريق الأنباط الذين سكنوا شمال الجزيرة العربية، وقد تأثر الأنباط بحضارة الآراميين وكتابتهم • وقديماً كان الكتاب عبارة عن مجموعة ألواح فخارية، أو عبارة عن درج من ورق البردي • فأمّا (الكتاب الفخاري) فقد عرفه السومريون والبابليون قبل أكثر من أربعة آلاف سنة، وأما (الكتاب الدرجي) فقد عرفه المصريون في الفترة نفسها تقريباً • والواقع أنّ المصريين صنعوا من سوق قصب البردي أدراجاً طويلة جداً • ولمّا كان البردي أخف وزناً وأكثر ملاءمة للكتابة من الفخار فقد أخذت مصر تصدره إلى مختلف بلدان الشرق الأدنى • وعن المصريين اقتبس الإغريق (الكتاب الدرجي) وعن الإغريق اقتبسه الرومان بدورهم•

ومن لفظة (Papyrus البردي) اشتقت لفظة (Paper الورق)، ومن اسم مدينة جبيل Byblos ، وهي الميناء الفينيقي الذي أصبح فيما بعد مركزاً لتصدير البردي، اشتق الإغريق لفظ Biblion وهو اسم الكتاب

في لغتهم • ومن كلمة Biblion هذه نشأت كلمة Bible ومعناها الكتاب المقدس • وحوالي العام 004 للميلاد حل الرق Parchment وكان يعد من جلود الحيوانات محل البردي، واتخذ الكتاب شكله الحاضر ذا الصفحات المطوية المضموم بعضها إلى بعض • وفي القرن الثامن للميلاد شرع العرب يستخدمون الورق الذي ابتكره الصينيون عام 501 للميلاد بدلاً من الرق (الجلود) بعد فتح مدينة سمرقند حيث أسسوا مصنعاً لصناعة الورق عام 157م•

مع دخول الورق إلى العالم الإسلامي أخذ يظهر فنّ الكتابة على مستوى كبير، ولم يكف عن التطوير حتى القرن التاسع عشر بينما كان استعمال الطباعة قد انتشر منذ مدة طويلة•

في بداية الإسلام كان القرآن الكريم يُكتب بأجزاء صغيرة على مواد مختلفة وغريبة مثل: أكتاف الإبل واللحاف (وهى أحجار كلسية بيضاء عريضة ورقيقة) في العسب (عسب النخيل) وفى الرق، حتى جمع سوره في أول الأمر، الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه (المُتَوَفَّى سنة 436م) معتمداً في ذلك على أوراق البردي • وأدرك الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (المتوفى سنة 656م) أهمية تدوين القرآن بالنسبة لحفظه وضبطه؛ فجمعه حسب سوره في مصحف وأمر بتحريره على الرق•(2(

أما الرق فقد عرفه العرب قبل الإسلام، فكانوا يعالجون الجلود بالكلس الفاقع اللون مستعملين أيضاً بعض الأجزاء المقومة الأخرى لتلوينه ومنحه مرونة تمكن من استعماله في الكتابة • وقد كتبت بعض أجزاء القرآن الكريم على الرق•

وبرزت بجلاء إمكانيات استغلال الرق في عملية التجليد أو التسفير، فقد كان الجلد ينقش ويدمغ ويوشم بخيوط الذهب التي كانت تتزاوج في تناسق مع ثنياته وحدوده • كما كانت تضاف إليه زخارف هندسية ونباتية مذهبة أو ملونة لتوحي للقارئ بالبهاء والروعة•

وكما ذكرنا سابقاً فإنّ الفضل يعود إلى الصينيين في اختراع مادة الورق الذي أنتجوه ابتداءً من القرن الأول بعد المسيح، وذلك انطلاقاً من سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة والخرق البالية أو شباك الصيد • كانت هذه المواد تدق، بعد أنْ تغسل وتفقد ألوانها، في مطاحن خاصة حتى تتحول إلى عجينة طرية فتضاف إليها كمية من الماء حتى تصبح شبيهة بسائل الصابون، وبعد أنْ يصفَّى الخليط تؤخذ الألياف المتماسكة المتبقية بعناية لتنشر فوق لوح مسطح لتجففه حرارة الشمس • وبعد التجفيف يمكن صقل فرخ الورق المحصل عليه بعد ذلك بواسطة

خليط من النشا والدقيق ويجفف من جديد • وهكذا يحصل على ورق قابل للاستعمال•

وعندما فتح المسلمون سمرقند سنة 751م وطردوا منها الجيوش الصينية أسروا عدداً كبيراً من الصينيين كان من بينهم صنَّاع الورق الذين أطلعوا العرب على أسرار هذه الصناعة، فأدخلها العباسيون إلى بغداد • ومن هناك انتقلت إلى الجزيرة العربية ثمّ إلى اليمن وسوريا ومصر والمغرب العربي والأندلس التي انتشرت عبرها في فرنسا وصقلية وإيطاليا انطلاقاً من القرن الثاني عشر الميلادي•

أمّا في المغرب فإنّ الإقبال على الورق كان كبيراً جدّاً لدرجة أنّ بعض الوثائق المخطوطة تبرز أنّ مدينة فاس وحدها كانت تضم في عهد السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين مائة وأربعة معامل • أمّا في عهد السلطان الموحدي يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر (القرن الثاني عشر الميلادي) فقد كانت هذه المدينة تحوي ما يناهز أربعمائة معمل لإنتاج الورق• وقد كانت الأندلس المسلمة أيام الموحدين أهم طريق عبرت منه صناعة الورق إلى أوروبا كما تشهد بذلك نصوص الجغرافي المغربي الشريف الإدريسي•

وقد عرفت أنواع مختلفة من الورق حسب طبيعة نسيجها وأليافها وألوانها)الأحمر، الأزرق، الأخضر، الأصفر ••)، وكانت الأوراق من اللون الواحد تُعَدُّ لاحتواء النصوص المفضلة لدى الكاتب أو للمحافظة على الصفحة المزخرفة ولمنحها بهاء ورونقاً خاصَّيْن•

وظلت صناعة الورق في تطوّر وأخذت أهمية كبرى خاصة بعد أنْ اخترع جوتنبرج ماكينة طباعة، وبدأ معها الاهتمام بأنواع الأوراق المختلفة، وبدأت التكنولوجيا الحديثة تقوم بدورها في تلك الصناعة، إلى أنْ أصبح الأمر الآن أكبر بكثير من مجرد أوراق للطباعة وأخرى للتغليف، وإنما أصبحت هناك أشكال وأنواع يؤدي كل منها دوراً مختلفاً على حسب المصدر الأول لاستخراجه•

فهناك الورق المأخوذ أساساً من الأشجار الإبرية، والتي توجد عادة في المناطق الشمالية الباردة من أوروبا، وهناك أوراق تشبع بألياف السليلوز لكي تأخذ ملمس القماش ورونقه، أو لأنها تعطي مواصفات جيدة عند الطبع عليها، ويكون مصدرها الأساسي القطن وأشجار الأرز ومصاص القصب•

ولم يقتصر الأمر على طرق وأنواع الورق، وإنما أصبحت هناك مواصفات أخرى أكثر دقة وتعقيداً؛ حيث نجد أجهزة خاصة لقياس

لمعان سطح الورق، وجهازاً لقياس قوة ومتانة شد الورق الذي يستخدم في عمليات التغليف وأيضاً نسبة الحموضـة والقلوية•

من الكتابة على الحجر إلى أكتاف الإبل إلى استخدام الرق إلى اكتشاف صناعة الورق، ثم التطورات الهائلة التي حدثت فيها، رحلة تاريخ وتطور عبر العصور، وها نحن الآن ندخل في عصر جديد ورحلة تطور أخرى للجنس البشري تستدعي وجود شكل جديد للكتاب والكتابة•

الكتاب الإلكتروني

إنّ العصر الجديد يحتاج إلى وسيلة جديدة لاحتواء المعنى، وهذه الوسيلة يجب أنْ تأتي من داخل وسائل هذا العصر، فلا يمكن أنْ تعبّر عن معنى عصر ما من غير استخدام نفس وسائله، وهنا فإنّ الكتاب الإلكتروني هو الأقدر للتّعبير عن العصر الرقمي الذي نعيش فيه، فكماكان الحجر وسيلة التعبير عن معنى العصر الحجري، وكما كان الشجر وسيلة التعبير عن معنى العصر الزراعي، وكما كان الكتاب الورقي المصنوع وسيلة التعبير عن العصر الصناعي فإنّ الكتاب الإلكتروني هو وسيلة التعبير عن العصر الإلكتروني الرقمي الذي نعيش فيه، لكل زمان طرقه ولكل زمان معناه ووسائله.

وفي الحقيقية فإنّ الكتاب الإلكتروني يضع حلولاً عملية لعدد كبير من المشاكل التي كانت تترافق مع الكتاب الورقي، من ذلك مشاكل الطباعة والنشر والتوزيع والرقابة وغلاء الثمن والحجم.

فرحلة صناعة الكتاب في وطننا العربي كما في غيره من بلدان العالم تبدأ بفعل الكتابة ثم تمر بمرحلة البحث عن ناشر، وهذا الأخير تاجر لا يهمه

سوى الربح المادي في أغلب الأحيان وفي الغالب الأعم فإنّ هذا الناشر يطلب مبلغاً من المال يساوي تكاليف الطباعة والنشر ليضمن عدم الخسارة المادية على الأقل، وبعد هذه المرحلة تأتي عملية الطباعة ثمّ مشاكل التوزيع وهي كثيرة في عالمنا العربي الذي يفتقد إلى دور نشر قومية تقوم بتوزيع الكتاب إلى كافة أرجاء الوطن الكبير والعالم، بحيث أنّ كاتباً يكتب كتابه في قطر ما من أقطار الوطن العربي لا يصل كتابه إلى قطر آخر، وهنا تبرز إشكالية محدودية المعرفة وتوزيعها، إنّ القارئ الإماراتي مثلا لا يستطيع التعرف على ما يكتبه زميله الأردني أو السوري وهلم جراً، وهناك شبه جهل بين الكتاب بعضهم ببعض هذا على مستوى الوسط الثقافي العربي فكيف بالأوساط الجماهيرية والشعبية التي تعاني جهلاً مطبقا بكل ما نكتب ونبدع، وهذه مشكلة كبيرة فالفعل الكتابي يتوجه إلى جمهور مفترض، وهذا الجمهور بالنسبة للكاتب العربي هو القارئ العربي، ولكن هذا القارئ لا يصله الكتاب وإذا وصله فهو ذو ثمن مرتفع لا يستطيع هذا القارئ المفترض شراءه، فسعر الكتاب الورقي مرتفع بكل المقاييس مقارنة بمستوى دخلالمواطن العربي.

وهناك أيضا مشكلة الحيز، فمكتبة البيت العادي قد لا تتسع لأكثر من بضع عشرات أو مئات من الكتب بينما يمكن تخزين مكتبة كاملة في كتاب رقمي واحد.

أمّا إذا جئنا إلى مشكلة الرقابة الكهنوتية التي تمارس ضدّ الكتاب الورقي من قبل كافة السلطات سواء كانت سياسيّة أو اجتماعيّة أو دينيّة فإنّ الكلام عنها يطول، ولكن يكفي الكاتب اختناقاً شعوره بأنّ كلماته معدودة عليه، لا كتابة بدون حرية، ولا إبداع بدون حرية، ولا معرفة بدون حرية، ولكن الكاتب العربي المحصور في الكتاب الورقي يجد نفسه مقيداً بألف قيد وقيد، فأي إبداع وأية كتابة ستأتي من هكذا كاتب•

ما إنْ تبدأ عملية الكتابة كفعل خلاق حتى يضع الكاتب نصب عينيه الرقيب، يكون الرقيب مطلاً على الورقة، خانقاً لها، فإذا تحرّر الكاتب من هذا الهاجس وكتب كما يحب ويشتهي فإنّ دوائر الرقابة له بالمرصاد، فلا يمكن أنْ يسمح بنشر كتابفي أية بقعة من هذا الوطن من غير أنْ تمر على مقص الرقيب، ذاك الذي يقص قلبك قبل أنْ يقص كلماتك، واسألوا أي مبدع وكاتب في هذا الوطن وسيروي لكم عشرات القصص المضحكة المبكية عن الرقيب ومقصه الرهيب•

إنّ المصادرة مستحيلة في حالة النشر الإلكتروني، فلا يمكن جمع المنشور بقرار إداري من الأسواق، وهو ككتاب عابر للقارات والمحيطات يوفر فرصاً أكبر بكثير لتداول المعرفة في مواجهة الدورة البطيئة للتوزيع الورقي فضلاً عن محدودية هذا التوزيع•

هذا عن الكتابة والكتاب عموماً فإذا جئنا إلى رواية الواقعية الرقمية فإنّ الكتاب الإلكتروني يغدو ضرورة لا بد منها، ذلك أنّ الكلمة ليست هي الأداة الوحيدة لهذه الرواية بل إنّ الكلمة جزء من كل، وأداة من عدة أدوات، وكما أسلفنا في الفصل السابق فإن على الروائي نفسه أنْ يتغير، فلم يعد كافيا أنْ يمسك الروائي بقلمه ليخط الكلمات على الورق، فالكلمة لم تعدأداته الوحيدة، على الروائي أنْ يكون شمولياً بكل معنى الكلمة، عليه أنْ يكون مبرمجاً أولا، وعلى إلمام واسع بالكمبيوتر ولغة البرمجة، عليـه أنْ يتقن لغة الـ HTMLعلى أقل تقدير، كما عليه أنْ يعرف فن الإخراج السينمائي، وفن كتابة السيناريو والمسرح،عاديك عن فن الـمحاكاة، ذلك أنّ الرواية الرقمية لا تستخدم الكلمات فقط في السرد بل تستخدم السينما ولغة البرمجة وعلم المحاكاة وغيرها من الأدوات•

في رواية: ظلال الواحد وعلى مستوى الكلمات فقط، أي على المستوى اللغوي قمت باستخدام تقنية الـ linksالمستخدمة في بناء شبكة الإنترنت، وذلك تماشياً مع الزمن الروائي نفسه والذي انشطر إلى عدة أزمان مجموعة ومتفرقة عاشتها الشخصية الروائية الكلية في شخصيات فرعية متعددة، ولم يكن من الممكن التعبير عن شخصية كلية في شخصيات متعددة تحيا عدة أزمان في زمن كلي ضمن أمكنة في مكان كلـي إلاّ باستخدامتقنية الـ linksتلك التقنية التي تسمح بانتقال

الشخصية عبر المكان والزمان وتظل رغم ذلك شخصية واحدة، ولقد كان الأمر في غاية السهولة عند نشر الرّواية بصيغتها الرقمية على شبكة الإنترنت، فلم يكن الأمر يحتاج أكثر من ضغطة صغيرة على الماوس لتدخل من linkإلى آخر ولكن الصعوبة الكبرى كانت عندما أردت نشر الرواية في كتاب ورقي، فلم يكن من الممكن التعبير عن كل ذلك ووضع كافة الخيوط السردية ضمن الإمكانات الضئيلة التي تقدمها الصفحة الورقية، وبعد تفكير طويل وجهد جهيد اهتديت إلى ضرورة تقطيع الصفح الورقية نفسها إلى عدة أعمدة، بحيث يحتوي كل عمود على linkمعين يحكي جزءاً من الشخصية في أزمنتها وأمكنتها المتعددة، ولكن هذا التعميد إنْ صح القول، أوجد مشكلات عديدة ليس أقلّها أنّ الصفحة الورقية لا تسمح بأكثر من عمودين أو ثلاثة، وحيث إنّ كل عمود سيحتوي على linkمعين فهذا يعني تقييداًكبيراً وقد اضطرني هذا الأمر لإعادة كتابة أجزاء من الرّواية وإلى حذف أجزاء linksأخرى منها، هذا بالإضافة إلى أنّ الصفحة الورقية لم تكن تسمح باستخدام الأدوات الأخرى في الكتابة، فهي لا تسمح بإدخال فن المحاكاة ولا إدخال المشاهد السينمائية أو المؤثرات السمع بصرية التي كانت تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الرواية بصيغتهـا الرقمية، هذا ناهيك عن صعوبة القراءة باستخدام الأعمدة.

إنّ النشر الإلكتروني يقدم حلولاً لكل هذه المشاكل فلا يوجد هناك ناشر لا تهمه كتابتك وإبداعك بقدر ما يهمه الكسب المادي من ورائك أو أمامك سواء، ولا رقيب يخنقك ويعد عليك كلماتك بل وحتى أنفاسك، ولا حاجز بينك وبين قرائك وجمهورك، فكتابك قادر على الوصول إلى كافة أرجاء المعمورة من غير دور نشر قومية أو وطنية،كما يتيح لك الكتاب الإلكتروني استخدام كافة الأدوات في العملية الإبداعية بسهولة ويسر ومن غير تقييد ولاحصر، فحدك خيالك المعرفي والخيال المعرفي لا حد له•

إنّ الحديث عن الكتاب هو حديث عن الثقافة، ولا بدّ من الاعتراف أنّ الثقافة العربية تعيش مرحلة أزمة، ويكفي أنّ ميزانية الثقافة في أي بلد عربي لا تزيد عن 3٪• بينما تصل في البلاد المتقدمة إلى 06٪• وبينما يصل نصيب الفرد في البلاد المتقدمة كفرنسا وألمانيا وهولندا إلى 51 كتاباً في السنة، فإنّ لكل سبعة مواطنين في العالم العربي كتاباً واحداً في السنة•(3(

إنّ الكتاب الإلكتروني أخذ الآن في الانتشار وبدأ يحل بسرعة مكان الكتاب الورقي ويحتل مكانه، ويكفي أنْ نذكر في هذا السياق أنّ دائرة المعارف البريطانية قررت منذ عام 2000 الاكتفاء بالطبعة الإليكترونية وإلغاء الطبعة الورقية من إصداراتها•

كما وضع مشروع جوتنبرغ 10000 كتاب من المجال الأنجلوسكسوني المنتمي إلى الملك العمومي، مجاناً رهن إشارة رواد الشبكة، ووضعت الخزانة الوطنية الفرنسية ما يناهز 80000 كتاب رقمي رهن القارئ نفسه، ووضعت جامعة مونتريال الكندية حوالي 04 أطروحة جامعية، وجامعة ليون الثالث الفرنسية عدداً مماثلاً من الرسائل والبحوث الجامعية • ويرمي موقع الأطروحة السيبيرية إلى وضع مجموع الرسائل الجامعية الرقمية الموجودة في العالم، وبجميع اللغات، رهن إشارة متصفحي الشبكة، وبشكل مجاني•

لقد ساهمت الثورة الرقمية في نقل المعرفة من الصفحة المكتوبة إلى الصورة والموسيقى والحركة • كل هذا يندرج تحت ظاهرة العولمة، عولمة المعلومات والمعرفة حتى ظهرت مشكلة السيطرة على هذه الظاهرة ومن سوف يتملك هذه المعرفة ذلك أنّ من يمتلك المعرفة يمتلك القوة ومن يمتلك المعلومة يمتلك الثروة وبالتالي السلطة ورأس المال الذهني أغنى بكثير من رأس المال المادي•

وفي هذا السياق أصبحت دول العالم تحاول استقطاب العلماء ومتخصصي الحاسبات كأنها تبحث عن ذهب جديد، أمّا الدولالنامية فقد انقسمت إلى قسمين أحدهما يقتنص الفرص والآخر يغط في سبات

facebook.com/the.Boooks

عميق • وبالنظر إلى العدو الاستراتيجي أصبحت إسرائيل تصدر Hardwareو Signal processorsمصنوعة لديها فأطلقت مجموعة من الأقمار الصناعية ودخلت في نطاق صناعة الألياف الضوئية وطورت نظم تطبيقية وبرمجيات تبيعها لشركات كبرى دولية كما قدمت عرضاً للسوق الأوروبية لترجمة هذه اللغات إلى اللغة العربية، كما أنشأت مراكز علمية للشركات العالمية في إسرائيل ومراكز تكنولوجيا زراعية حيث تأتي إسرائيل في المرتبة الثانية بعد اليابان في نسبة عدد العلماء والفنيين إلى إجمالي عدد السكان وفي المرتبة الثانية بعد أمريكا في عدد المراكز المتخصصة بالتكنولوجيا المتطورة • أمّا العالم العربي فهو في حالة فقر معلوماتي مدقع يأخذ عن الدول المتقدمة ما لديها دون الخوض في أعماقه • ومهما أنشأنا من مصانع لا تنجح منتجاتنا فنحن بحاجة إلى تغيير المفاهيم ذاتها والتعود على تقبل المستحدث والمبتدع بدل التمسك بالماضي وحضوره الطاغي الخانق لكل ما هو جديد ومبتدع، فلا بد من وجود بعد فني، بعد تقني، بعد تنظيمي، وبعد قيمي إلى جانب التكنولوجيا فهي وحدها لا تفيد•

وهناك بعض من السلفيين يتمسحون في رفضهم للمستقبل برائحة الورق ومتعة القراءة في الكتاب الورقي التي لن تضاهيها متعة حسب قولهم، ويذكرنا هذا بهجوم الوراقين بعد دخول المطبعة إلى العالم العربي

facebook.com/the.Boooks

في عهد نابليون، فقد تمسح أولئك الذين شعروا أنّ مهنتهم ووجودهم ذاته في خطر، برائحة حبر الخط المكتوب والورقة المنمقة بخطوطهم، بل وصل بهم الأمر إلى اعتبار الكتاب الورقي المطبوع رجسا من عمل الشيطان ودعوا إلى تكفير كل من يعمل به تماماً كما يفعل وراقو العصر الحديث مع الكتاب الإلكتروني، ولنا أنْ نسأل أين هم الوراقون الآن؟؟

سيتجاور الكتاب الورقي المطبوع مع الكتاب الإلكتروني لمدّة من الزمن قد لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين عاماً القادمة ولكن في النهاية لن يبقى سوى ابن العصر وناقل معناه وسيذهب الكتاب الورقي إلى متاحف التاريخ.

إنّ عصر الثورة الرقمية هو نهضة جديدة وحضارة جديدة وأصبح التطور في الأدوات أكبر من التطور في المفاهيم والنظريات، لذا بدأ الإنسان يضع سيناريوهات للمستقبل ويتخيله بما في ذلك من ممكن وغير ممكن . فقد انتصر الحديث على القديم . وأصبح الخيال المعرفي سابقاً للخيال السلفي وما كان غير ممكن صار ممكناً وما كان مستحيلاً صار احتمالاً ويبقى صوت شيخي ابن عربي يرن من بعيد ... ليس إلاّ الخيال...ليس إلاّ الخيال.